١٣

في الادبيات

سلحدار اغا فوق بزيادة احد اسيد

لبنت النعمان بن المنذر وامه ماء السماء

بينا نسوس الناس والامر امرنا | اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها | تقلب تارات بنا وتصرف

نمقه ابرهيم الشكوري الطرابلسي غفرله
ودعى لصاحبه بالبقاء وعلو الارتقاء

لقد زارني من بعد يأس معودا
بطوف الدجى صبحا فقبضة الفجر

فاعجبه بالعتب تمارتيه
نبيح الثريا بالهلال عن البدر

٢١٩

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

١٢

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 4107
Mkr.

٤١٤٧

٢٠٩
٢١٠
٢١١

يازقدری هرهانکی
بر آلسه دوشون
با فخشور.
١ حزيران [illegible] ١٩٤٢

المقامة الاولى وتعرف بالصنعانية
يذكر فيها كان ابي زيد واعظا يقرا المواعظ للناس ثم يذكر كونه ظريفا يشرب النبيذ مع تمييزه

المقامة الثانية وتعرف بالحلوانية
يذكر فيها كون ابي زيد شاعرا يقرا شعرا جامعا لمشبهات الشعر اوله نفسي الفداء الى آخره

المقامة الثالثة وتعرف بالقيلية
يذكر فيها كون ابي زيد سائلا اعرج يقرا على الناس صفة احواله ويمدح الدينار فيها ويذمه

المقامة الرابعة وتعرف بالدمياطية
يذكر فيها قول ابي زيد لابنه كيف حكم سيرك مع جيلك وجيرتك ثم ذهابه الى الحمام وعدم مجيئه منها

المقامة الخامسة الكوفية
يذكر فيها كون ابي زيد سائلا يجي بالليل ويقرا بالحيل ذا المعنى الى العزه ويروي رديئة ابنه وعدم الالتفات اليه لكونه فقيرا

المقامة السادسة وتعرف بالحيفار
يذكر فيها كون ابي زيد في صورة الكهل ينشي رسالة خيفارا اي احدى كلمتها منقوطة والاخرى غير منقوطة

المقامة السابعة البرقعيدية
يذكر فيها كون ابي زيد اعمى ومجيئه مع زوجته في يوم العيد الى المصلى ويقسم الرقاع التي تكتب فيها احواله الى الحاضرين ثم استرداده الخلالة والعسول

المقامة الثامنة المعرية
يذكر فيها مجيء ابي زيد مع ابنه الى قاضي معرة النعمان ويختصمان في الابرة والمرود والميل المكحل

المقامة التاسعة الاسكندرية يذكر فيها مجي ابي زيد الى قاضي الاسكندرية مع امرأته وتشكو المرأة الى القاضي ثم يقرا ابو زيد شعرا طويلا حتى يسمح القاضي اليهما

المقامة العاشرة الرحبية
يذكر فيها مجي ابي زيد مع ابنه الى القاضي ويدعي قتل ابنه وميل القاضي الى الغلام وتحليف ابي زيد ابنه

المقامة الحادية عشر الساوية يذكر فيها مجي ابي زيد مع ستر وجهه الى المقابر ويقرا فيها موعظة في تذكير الموت ثم يسأل ويظهر ان ساعده قد انكسر

المقامة الثانية عشر الدمشقية يذكر فيها كون ابي زيد في صورة الرهبان يعلم الادعية للراحلين الى العراق ثم دخوله الى بيت الخمار ويقرا شعرا يعتذر فيه عما فعل

المقامة الثالثة عشر البغدادية يذكر فيها مجي ابي زيد في صورة عجوز مع صبية الخف من المغازل واضعف من الجوازل

المقامة الرابعة عشر المكية يذكر فيها مجي ابي زيد في صورة شيخ مع ابنه ويذكر ابو زيد هلاك ناقته وابنه يطلب الطعام

المقامة الخامسة عشر الفرضية
يذكر فيها مجي ابي زيد ليلا ويذكر مسئلة من علم الفرائض ويطلب الطعام والتمر

المقامة السادسة عشر المغربية
يذكر فيها مجي ابي زيد الى مسجد المغرب في صورة السائل ويقرا فيها كلمات وشعرا كلها مقلوب مستو

المقامة السابعة عشر وتعرف بالقهقرية
يذكر فيها رسالة قهقرية اي يمكن ان يقرا من اولها الى آخرها ومن آخرها الى اولها

المقامة الثامنة عشر السنجارية يذكر فيها حضور ابي زيد في دعوة تاجر وتجنبه من الجام لكونه نماما ثم يذكر قصة جارية الحسناء

المقامة التاسعة عشر النصيبية يذكر فيها كون ابي زيد مريضا ثم يذكر صحته ويذكر فيها الوان الاطعمة مع الكنايات ثم تفسير ما في هذه المقامة من الالفاظ والكنايات

المقامة العشرون الفارقية يذكر فيها اوصاف شجاع ثم يذكر موت ذلك الشجاع ويجمع ثمن الكفن ثم يشير الى ذكره ويقول الشجاع الذي مات هو ذكري

المقامة الحادية والعشرون الرازية
يذكر فيها كون ابي زيد واعظا يقرا المواعظ وينشد اشعارا يعرض فيها للامير الجاير

المقامة الثانية والعشرون الفراتية يذكر مجي ابي زيد الى السفينة في صورة شيخ كريه اللقاء ويذكر الفرق بين الكاتب المحاسب وبين المنشي

المقامة الثالثة والعشرون الشعرية
يذكر فيها مجي ابي زيد مع ابنه الى امير ويشكو من ابنه من سرقة شعره ويذكر فيها شعرا في صنعة التجنيس

المقالة الرابعة والعشرون القطيعية
يذكر فيها صحبته يغني فيها المطرب لام سعاد الخ ويذكر فيها ما اختاره سيبويه وقولهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ثم يشرح ما في هذه المقالة

المقامة الخامسة والعشرون الكرجية
يذكر فيها الشتاء وشعرا في شكاية الشتاء ويذكر في آخره كافات الشتاء

المقامة السادسة والعشرون الرقطاء
يذكر فيها رسالة رقطاء احدى حرفيها منقوطة والاخرى غير منقوطة في السؤال عن قضاء الدين

المقامة السابعة والعشرون البدوية
يذكر فيها ركوب الحارث الفرس في اول الايام وسرقة ابي زيد فرسه ثم تفسير ما فيها

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية
يذكر فيها كون ابي زيد خطيبا يخطب خطبة لا نقطة فيها ثم صحبته وشربه من اباريق مكعوبة الندامه

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية
يذكر فيها خطبة نكاح لا نقطة فيها اصلا ثم يذكر اكل اهل الخان الخشيش وسكرهم ثم سرقة ابي زيد اموالهم النفيسة

المقامة الثلاثون الصورية يذكر فيها ذهاب الحارث الى خان الغربا ورؤيته ابي زيد في صورة شيخ ثم يخطب خطبة في السؤال والنكاح

المقامة الحادي والثلثون الرملية
يذكر فيها موعظة حسنة من لسان ابي زيد يخاطب الحجاج ويعظ لهم في التقوى

المقامة الثاني والثلثون الفقهية
يذكر لهم مسائل من علم الفقه فلذلك سماها فقهية

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية
يذكر فيها كون ابي زيد ذا القوة يسأل الناس

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية يذكر فيها موت غلام الحارث وبيع ابي زيد ابنه من الحارث

حسبي الله وحده وكفى

تشرف بتملكه العبد الفقير الى الله سبحانه شمس الدين محمد بن المولى يحيى محمد بن فخر بستان الحسيني غفر لهم الله الملك الغني

٤١٠٧ مكرر

ثم تشرف بملكه الفقير الى الله الغني احمد بن محمد ... عفي عنهما ١٢٥٤

قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العالم عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً

K. 4170

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية
يذكر فيها قصيدة يورد فيها قتل العاتق وتربية البكر المخطوبة

المقامة السادسة والثلثون الملطية
يذكر فيها تسعة رهط يقرأ لكل منهم الاحجية ثم يفسر ما في هذه المقامة من الاحاجي المودعة فيها

المقامة السابعة والثلثون الصعدية
يذكر فيها قاضي الصعدة ومناظرة ابي زيد مع ابنه عنده

المقامة الثامنة والثلثون المروية
يذكر فيها قاضي المروة ويمدحه فيها ويسأل منه ابو زيد شيئاً

المقامة التاسعة والثلثون العمانية
يذكر فيها الركوب على السفينة وذهاب ابي زيد الى ملك العمان وكتابته تعويذ [illegible]

المقامة الاربعون التبريزية
يذكر فيها مناظرة ابي زيد مع زوجته واستكار زوجته منه من ذوره خلف الذار

المقامة الحادي والاربعون التنيسية
يذكر فيها الرجوع من الذنوب ويذكر شعرا يعتذر فيه من شرب الراح

المقامة الثانية والاربعون النجرانية
يذكر فيها مجي ابي زيد في صورة الهرم ويذكر فيها عشرة لغز

المقامة الثالثة والاربعون الحضرموتية
يذكر فيها اوصاف ناقته وقصتها ثم يذكر مشـ المشاورة في التزوج واحوال البكر والثيب في المعاش

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية
يذكر فيها قراءة ابي زيد احاجي سيداء بقوله عندي اعاجيب ارويها بلا كذب الخ

المقامة الخامسة والاربعون الرملية
يذكر فيها قاضي الرملة ومرافعة ابي زيد مع زوجته اليه وشكاية زوجته منه

المقامة السادسة والاربعون الحمصية
يذكر فيها كون ابي زيد معلما يعلم الصبيان العشرة ويذكر من لسان كل واحد منهم شعرا مصنعا

المقامة السابعة والاربعون الحجرية
يذكر فيها كون ابي زيد حجاما لحجم ابنه ثم يشرح ما في هذه المقامة من الالفاظ

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية
يذكر فيها مدح البصرة ومجي شيخ [illegible] لدوار لكسر توبته من شرب الخمر

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية
يذكر فيها وصية ابي زيد لابنه وانما سماها ساسانية لان ابا زيد وابنه من بني ساسان

المقامة الخمسون البصرية
فيها مدح البصرة واهلها وانابة ابي زيد ورجوعه الى جانب الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان
كما نحمدك على ما اسبغت من العطا واسبلت من الغطا ونعوذ
بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة
اللكن وفضوح الحصر ونستكفي بك الافتتان باطرا
المادح واغضا المسامح كما نستكفي بك الانتصاب
لازرا القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل
الخطوات الى خطط الخطيات ونستوهب منك توفيقا
قايدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا
بالصدق ونطقا مويدا بالحجة واصابة ذايدة عن الزيغ
وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان
القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا

بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا
عن السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصايد الالسنة
ونكفى غوايل الزخرفة فلا نرد مورد ماثمة ولا نقف موقف
مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجا الى معذرة
عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية
ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد
مددنا اليك يد المسلة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة
واستنزلنا كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة
الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر
الذي ختمت به النبيين واعليت درجته في عليين ووصفته
في كتابك المبين فقلت وانت اصدق القايلين وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين اللهم فصل عليه وعلى اله الهادين
واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين

وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على كل شيء قدير
وبالاجابة جدير ۝ وبعد فانه جرى ببعض اندية
الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه
ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان
رحمه الله وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها والى
عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا
تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى ان انشئ
مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شأو
الضليع فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم بيتا
او بيتين واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ويفرط
الوهم ويسبر غور العقل وتتبين قيمة المرء ويضطر صاحبه
الى ان يكون كحاطب ليل او جالب رجل وخيل وقلما سلم
مكثار او اقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا اعفي

من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت في مطاوعته
جهد المستطيع وانشأت على ما اعانيه من قريحة جامدة
وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة
تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان
ودرره وملح الادب ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات
ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية
واللطائف الادبية والاحاجي النحوية والفتاوي اللغوية
والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية
والاضاحيك الملهية مما امليت جميعه على لسان ابي زيد السروجي
واسندت روايته الى الحرث بن همام البصري وما قصدت
بالاحماض فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم
اودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين اسست عليهما
بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة

الكرجية وما عدا ذلك فخاطري ابو عذره ومقتضب
حلوه ومرّه هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله سبّاق
غايات وصاحب آيات وان المتصدّي بعده لانشاء مقامة ولو أ
اوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ولا يسري ذلك
المسرى الا بدلالته ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندّم
ولكن بكت قبلي فهيّج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدّم

وارجوا ان لا اكون في الهذر الذي اوردته والمورد الذي توردته
كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن انفه بكفه فالحق
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي
ونضح عني المحب المحابي لا اكاد اخلص من غمر جاهل او ذي غمر
متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندّد بانه من مناهي الشرع ومن
ينقد الاشياء بعين المعقول وانعم النظر في مباني الاصول نظم
هذه المقامات في سلك الافادات وسلكها مسلك
الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن
تلك الحكايات او اثّم رواتها في وقت من الاوقات ثم اذا كانت
الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات فاي حرج على
من انشا ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الاكاذيب
وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم او هدى الى
صراط مستقيم

على انّي راض بان احمل الهوى ... واخلص منه لا علي ولا ليا

وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم واسترشد الى
ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق
الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه انيب

الصنعانية

المقامة الاولى

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب
وأنأتني المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء
اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا
أجد في جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول
في حوماتها جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح
غدواتي وروحاتي كريما أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي
أو أديبا تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة
المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى ناد رحيب محتو على زحام
ونحيب فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة الدمع فرأيت في بهرة
الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه أهبة السياحة وله رنة
النياحة وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع
بزواجر وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة
بالقمر والأكمام بالثمر فدلفت إليه لأقتبس من فوائده وألتقط

شام ما التي للاستفهام إذا دخلت على حرف الجر حذفت الألف منها ... وصلت به كقوله عم يتساءلون
وفيم أنت من ذكراها وقولهم إلام وعلام وحتام ...

موعظة

بعض فرائده فسمعته يقول حين خب في مجاله وهدرت
شقاشق ارتجاله أيها السادر في غلوائه السادل ثوب
خيلائه الجامح في جهالاته الجانح إلى خزعبلاته إلام تستمر على
غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي
عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح
سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك
وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن
أن ستنفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين
توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك إذا زلت قدمك أو
يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة
اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك
وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك
فما إعدادك وبالمشيب إنذارك فما أعذارك وفي اللحد مقيلك

فما قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما ايقظك الدهر
فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلّت لك العبر
فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت واذكرك الموت فتناسيت
وامكنك ان تواسي فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر
تعيه وتختار قصرا تعليه على برّ توليه وترغب عن هاد تستهديه
الى زاد تستهديه وتغلّب حبّ ثوب تشتهيه على ثواب
تشتريه يواقيت الصلات اعلق بقلبك من مواقيت الصلوة
ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف
الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران
آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي
عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه ثم انشد

تبًّا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابه

ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه

ثم انه لبّد عجاجته وغيّض مجاجته واعتضد شكوته وتأبّط
هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفّزه ورأت تأهّبه لمزايلة
مركزه ادخل كل منهم يده في جيبه فافعم له سجلا من سيبه
وقال اصرف هذا في نفقتك او فرّقه على رفقتك فقبله
منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودّع من يشيّعه ليخفى
عليهم مهيعه ويسرّب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحارث
بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره من حيث
لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته
ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مجاذبا
لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ
فقلت له يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة

القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت
ان يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد

لبست الخميصة ابغي الخبيصة ... وانشبت شصي في كل شيصه

وصيرت وعظي احبولة ... اريغ القنيص به والقنيصه

والجاني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه

على انني لم اهب صرفه ... ولا نبض لي منه فريصه

ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصه

ولو انصف الدهر في حكمه ... لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت
عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو
زيد السروجي سراج الغربا وتاج الادبا فانصرفت من حيث اتيت
وقضيت العجب مما رايت

المقامة الثانية

وتعرف بالحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم
ونيطت بي العمائم بان اغشى معان الادب وانضي اليه ركاب
الطلب لاعلق منه بما يكون لي زينة بين الانام ومزنة عند
الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه
اباحث كل من جل وقل واستسقي الوبل والطل واتعلل بعسى
ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان
وخبرت ما شان وزان الفيت بها ابا زيد السروجي يتقلب
في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب فيدعي
تارة انه من آل ساسان ويعتزي مرة الى اقيال غسان ويبرز
طورا في شعار الشعرا ويلبس حينا كبر الكبرا بيد انه مع
تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية
وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة واداب بارعة وقدم لاعلام
العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة

روايته يصبي الى رؤيته وخلابة عارضته يرغب عن معارضته
ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت باهدابه لخصائص
آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به اجلو همومي واجتلي زمانا طلق الوجه ملتمع الضيا
ارى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشي لي كل يوم نزهة ويدرا عن قلبي
شبهة الى ان حدجت له يد الاملاق قوس الفراق واغرا اعلام
العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الارفاق الى مفاوز
الآفاق ونظمه في سلك الرفاق خفوق رايات الاخفاق فشحذ للرحلة
غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بازمته

فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي من نديد لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسر عني حينا لا اعرف لعرينه ولا اجد عنه مبينا فلما

ابت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى
المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية
كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في اخريات الناس
ثم اخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال
لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان ابي عبادة
المشهود له بالاجادة فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع
استملحته فقال نعم قوله

كانما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح

فانه ابدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة
الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم اين انت
عن البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وانشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسُئل
لمن هذا البيت وهل حيٌّ قائله ام ميت فقال ايمُ الله للحق احق ان
يُتبع وللصدق حقيق بان يستمع انه يا قوم لجليسكم منذ اليوم قال
فكان الجماعة ارتابت بعزوته وابت تصديق دعوته فتوجّس
ما هجس في افكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر
ان يفرط اليه ذم فقرا ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة
القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك
ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند
الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي
للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من حضر
وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان
اثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب حتى انشد فاغرب

سالتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشّى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما انس
استيناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق
كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وانشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح اقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا
عشرته وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما رايت
تلهب جذوته وتالق جلوته امعنت في توسمه وسرحت
الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمر ليله
الدجوجي فهنأت نفسي بمورده وابتدرت استلام يده وقلت

له ما الذي اجال صفتك حتى جهلت معرفتك واي شي شيب
لحيتك حتى انكرت حليتك فانشا يقول

وقع الشوايب شيب والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو اضرى بك الخطوب والب
فما على التبر عار في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة

روى الحرث بن همام قال نظمني واخدانا لي نادي
لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد
فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد
وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير

الذخاير وبشاير العشاير عموا صباحا وانعموا اصطباحا
وانظروا الى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدا وعقار
وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب
الكروب وشر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى
صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع
واقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال واعول العيال
وخلت المرابط ورحم الغابط واودى الناطق والصامت
ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر
المدقع الى ان احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا
الجوى وطوينا الاحشا على الطوى واكتحلنا السهاد
واستوطنا الوهاد واستوطانا القتاد وتناسينا الاقتاد
واستطبنا الحين المجتاح واستبطانا اليوم المتاح فهل من
حر آس او سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد امسيت

أخا عيلة لا يملك بيت ليلة قال الحارث بن همام فأوى
لمفاقره ولوى إلى استنباط فقره فأبرزت له دينارا وقلت
له اختبارا إن مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد
في الحال من غير انتحال

أكرم به أصفر راقت صفرته ۝ جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ۝ قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته ۝ وحببت إلى الأنام غرته
كأنما من القلوب نقرته ۝ به يصول من حوته صرته
وإن تفانت أو توانت عترته ۝ يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته ۝ كم آمر به استتبت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته ۝ وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته ۝ ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته ۝ وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته ۝ وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

ثم بسط يده بعدما أنشده وقال أنجز حر ما وعد وسح
خال إذ رعد فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوف
عليه فوضعه في فيه وقال بارك الله فيه ثم شمر للانثناء
بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام
سهلت علي ائتناف اغترام فجردت دينارا آخر وقلت هل لك
في أن تذمه ثم تضمه فأنشد مرتجلا وشدا عجلا

تبا له من خادع مماذق ۝ أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ۝ زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق ۝ يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ۝ ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق ۝ ولا شكا الممطول مطل العائق

ولا استعذتُ من حسودٍ راشقْ ۝ وشرِّ ما فيه من الخلائقْ
أن ليس يغني عنك في المضائقْ ۝ إلا إذا فرَّ فرارَ الآبقْ
واهاً لمن يقذفه من حالقْ ۝ ومن إذا ناجاه نجوى الوامقْ
قال له قول المحقِّ الصادقْ ۝ لا رأيَ في وصلك لي ففارقْ

فقلتُ له ما أغزرَ وبلك فقال والشرطُ أملكُ فنفحته
بالدينار الثاني وقلتُ له عوِّذهما بالمثاني فألقاه في فمه
وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه
قال الحارثُ بن همام فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأنّ تعارجه
لكيدٍ فاستعدته وقلتُ لقد عرفتُ بوشيك فاستقم في
مشيك فقال إن كنتَ ابنَ همام فحُيِّيتَ بإكرام وحَيِيتَ بين كرام
فقلتُ أنا الحارثُ فكيف حالك والحوادثُ قال أتقلَّبُ في
الحالين بؤسٍ ورخاء وأنقلبُ مع الريحين زعزعٍ ورُخاء فقلتُ
كيف ادّعيتَ القَزَل وما مثلك من هزل فاستسرّ بشرُه

الذي كان تجلّى ثم أنشد حين ولّى

تعارجتُ لا رغبةً في العرجْ ۝ ولكن لأقرعَ بابَ الفرجْ
وألقي حبلي على غاربي ۝ وأسلك مسلكَ من قد مرجْ
فإن لامني القومُ قلتُ اعذروا ۝ فليس على أعرجٍ من حرجْ

المقامة الرابعة وتعرف بالدمياطية

أخبر الحارثُ بن همام قال ظعنتُ إلى دمياط عام هياط
ومياط وأنا يومئذٍ موموقُ الرخاء موفورُ الإخاء أسحبُ مطارفَ
الثراء وأجتلي معارفَ السرّاء فرافقتُ صحباً قد شقّوا عصا
الشقاق وارتضعوا أفاويقَ الوفاق حتى لاحوا كأسنان
المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنّا مع
ذلك نسير النجاء ولا نرحل إلا كلَّ هوجاء وإذا نزلنا منزلاً
أو وردنا منهلاً اختلسنا اللبثَ ولم نُطِل المكثَ فعنَّ لنا
إعمالُ الركاب في ليلةٍ فتيّةِ الشباب غدافيّةِ الإهاب

فسرنا الى ان نضا الليل شبابه ونصل الصبح خضابه
فحين مللنا السرى وملنا الى الكرى صادفنا ارضا
مخضلة الربى معتلة الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا
للتعريس فلما حلها الخليط وهدا بها الاطيط والغطيط سمعت
صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيرتك
فقال ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال لمن صال
واحتمل الخليط ولو ابدى التخليط واود الحميم ولو جرعني
الحميم وافضل الشفيق على الشقيق وافي للعشير وان لم يكافي
بالعشير واستقل الجزيل للنزيل واغمر الزميل بالجميل وانزل سميري
منزلة اميري واحل انيسي محل رئيسي واودع معارفي عوارفي واولي
مرافقي مرافقي والين مقالي للقالي وادیم تسآلي عن السالي
وارضى من الوفا باللفا واقنع من الجزا باقل الاجزا ولا اتظلم
حين اظلم ولا انقم ولو لدغني الارقم فقال له صاحبه ويك

يا بني انما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكني انا لا اتي
غير المواتي ولا اسم العاتي بمراعاتي ولا اصافي من يابى انصافي
ولا اواخي من يلغي الاواخي ولا امالي من يخيب امالي ولا ابالي
بمن صرم حبالي ولا اداري من جهل مقداري ولا اعطي زمامي
من يخفر ذمامي ولا ابذل ودادي لاضدادي ولا ادع
ايعادي للمعادي ولا اغرس الايادي في ارض الاعادي
ولا اسمح بمواساتي لمن يفرح بمساتي ولا ارى التفاتي الى من يشمت
بوفاتي ولا اخص بحباي الا احبائي ولا استطب لدائي غير
اودائي ولا املك خلتي من لا يسد خلتي ولا اصفي نيتي لمن
يتمنى منيتي ولا اخلص دعائي لمن لا يملا وعائي ولا افرغ ثنائي
على من يفرغ انائي ومن حكم بان ابذل وتخزن والين وتخشن
واذوب وتجمد واذكو وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال
وزن المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى نامن

التغابن ويكفي النصائح والاقلام اعلّك وتعلّني و اقلّك
وتستقلّني واجرحك وتجرحني واسرح اليك وتسرّحني
وكيف تجتلب انصاف بضيم واي شرق شمس مع غيم ومِني
اصحب ودٌ بعسف واي حرٍ رضي بخطة خسف ولله ابوك اذ
يقول

جزيت من اعلق بي ودّه جزا من يبني على اسّه
وكلت للخل كما كال لي على وفا الكيل او بخسه
ولم اخسّره وشر الورى من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنى فما له الا جنا غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني اصدقه الود على لبسه
وما دري من جهله انني اقضي غريم الدين من جنسه

فاهجر من استغباك هجر القلى وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن انسه
ولا ترجّ الودّ ممن يرى انك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت
الى ان اعرف عينهما فلما لاح ابن ذكا والحف الجو الضيا
غدوت قبل استقلال الركاب ولا افتقاد الغراب وجعلت
استقري صوب الصوت الليلي واتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى
ان لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت
انهما نجيا ليلتي وصاحبا داري وابني فقصدتهما قصد كلف بما انشداه
راثٍ لرثاثة شارتهما وانحيت على التحول الى رحلي والتحكم في كثري
وقلي وطفقت اشيد بين السيارة بفضلهما واهز لهما الاعواد
المثمرة لهما حتى غمرا بالجلالة واتخذا من الحلال وكنا بمعرس
تتبين منه بنيان القرى وتنور نيران القرى فلما راى ابو زيد

امتلأت كيسه وانجلا بوسه قال لي ان بدني قد اتسخ
ودرني قد رسخ افتاذن لي في قصد قرية لاستحم واقضي هذا
المهم فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة
فقال ستجد مطلعي عليك اسرع من ارتداد طرفك اليك ثم
استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل
انه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة اهلة الاعياد ونستطلعه
بالطلايع والرواد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم
ينهار فلما طال امد الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار
قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان
اضعنا الزمان وبان ان الرجل مان فتاهبوا للظعن ولا تلووا
على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتي واتحمل برحلتي فوجدت
ابا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر

لا تحسبا اني نايتك عن ملال او اشر

لكنني مذ لم ازل ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرات الجماعة القتب ليعذره من كان عتب
فاعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من
اعتاض عنا

المقامة الخامسة وتعرف بالكوفية

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها
ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا من يحفظ عنه ويميل
الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان غرب القمر
وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا
من الباب نباة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من
الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

قد دفع الليل الذي اكفهرا إلى ذراكم شعثا مغبرا

أخا سفار طال واسبطرا حتى انثنى محقوقفا مصفرا

مثل هلال الأفق حين افترا وقد عرا فناءكم معترا

وأمكم دون الأنام طرا يبغي قرى منكم ومستقرا

فدونكم ضيفا قنوعا حرا يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي أحلني ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف خصوصا

أذى يعلق بالأجسام ويفضي إلى الأسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره إلا ليعجل التعشي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهم إلا أن تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكأنه اطلع على إرادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج تأملته فإذا هو أبو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فإن يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا إلى نشر الفكاهة بعد ما طووها وأبو زيد مكب على إعمال يديه حتى إذا استرفع ما لديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو عجيبة من عجائب أسفارك فقال

لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون
وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيري
إلى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال
إن مرامي الغربة لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى
وجراب كفؤاد أم موسى فنهضت حين سجا الدجى على ما بي
من الوجى لأرتاد مضيفا أو أقتاد رغيفا فساقني حادي
السغب والقضاء الذي يكنى أبا العجب إلى أن وقفت على باب
دار فقلت

حييتم يا أهل هذا المنزل ❁ وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ❁ نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشى على الطوى مشتمل ❁ ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل ❁ وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ❁ فهل بهذا الربع عذب المنهل

يقول لي ألق عصاك وادخل ❁ وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز إلي جوذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ❁ وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرا ❁ سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ❁ طوى برى أعظمه لما برى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما أصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى
ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشأي فيد
ووردت إلى هذه المدرة أمس مع أخوالي من بني عبس فقلت له
زدني إيضاحا عشت ونعشت فقال أخبرتني أمي برة وهي
كاسمها برة أنها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة
سروج وغسان فلما آنس منها الإثقال وكان بائقة على ما
يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف أحي هو فيتوقع أم أودع

الجد البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي
وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد
مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب
باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب
فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق
فما سير مثلها في الافاق فاحضرنا الدواة واساودها ورقشنا
الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مرتاه في
استضمام فتاه فقال اذا اثقل ردني خف علي ان اكفل
ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال الفناه لك في
الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدره
الا مصاب قال الراوي فالتزم منه كل منا
قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع
واستنفد في الثنا الوسع حتى انا استطلنا القول واستقللنا

الطول ثم انه نشر من وشي السمر ما ازرى بالحبر الى
ان شابت ذوائبها وكمل سعودها الى ان انفطر عودها
ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا
لنقبض الصلات ونستنض الاحالات فقد استطارت
صدوع كبدي من الحنين الى ولدي فوصلت جناحه حتى
سنيت نجاحه فحين احرز العين في صرته برقت اسارير
مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطى قدميك والله خليفتي
عليك فقلت اريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب
واناقفه لكي تجيب فنظر الي نظرة الخادع الى المخدوع
وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع ثم انشد

يا من تظنى السراب ما لما رويت الذي رويت
ما خلت ان يستسر مكري وان يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت

وإنما لي فنون سحر ابدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الاصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت

تخذتها وصلة الى ما تجنيه كفي متى اشتهيت

ولو تعافيتها لحالت حالي ولم احو ما حويت

فمهد العذر او فسامح ان كنت اجرمت وجنيت

ثم انه ودعني ومضى واودع قلبي جمرة الغضا

المقامة السادسة

روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فاجمع من حضر من فرسان اليراعة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشا ويتصرف فيه كيف شا ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غرا او يفترع رسالة عذرا وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوايل

ولو ملك فصاحة سحبان وايل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم وشووا العجب والعجب من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز ليسمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت الكناين وفاءت السكاين وركدت الزعازع وكف المنازع اقبل على الجماعة وقال لقد جيتم شيا ادا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتنتم في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات انسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرايح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسايل الموشحة والاساجيع المستملحة

وهل للنقد ما إذا أنعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة
الموارد المعقولة الشوارد المأثور عنهم لتقادم المولد
لا لتقدم الصادر على الوارد وإني لأعرف الآن من إذا
أنشأ وشّى وإذا عبّر حبّر وإن أسهب أذهب وإذا أوجز أعجز
أدهش ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين
أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات
قال إنه قرنك في مجالك وقرين جدالك وإذا شئت فرض نجيبا
وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا إن البغاث بأرضنا
لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والفضة متيسر
وقلّ من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال أو
استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرّض
عرضك للفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل
امرئ أعرف بوسم قدحه وسيسفر الليل عن صبحه فتناجت

الجماعة فيما يسبره به قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال
أحدهم ذروه في حصتي لأرميه بحجر قصتي فإنها عضلة
العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الأمر الزعامة
تقليد الخوارج أبا نعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم
أني أوالي هذا الوالي وأرجّح حالي بالبيان الحالي وكنت
أستعين على تقويم أودي في بلدي بسعة ذات يدي مع
قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أممته من
أرجائي برجائي ودعوته لإعادة روائي وإرواء فهش
للوفادة وراح وغدا بالإفادة وراح فلما استأذنته في
المراح إلى المراح على كاهل المراح قال إن مغناي لا
أزود كلّ بنانا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ أمام ارتحالك
رسالة تودعها شرح حالك الحروف إحدى كلمتيها
يعمها النقط وحروف الأخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت

بباني حولا فما أجار قولا وبهت فلم يبن سنة فما ازداد
الا سنة واستعنت بفاطنة الكتاب فحل منهم قطب وناب
فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فانت بانه ان كنت
من الصادقين فقال له لقد استسعت تعنونا واستسقيت
اسكونا واعطيت القوس باريها واتريت الدار بانيها ثم
فكر ريثما استجم قريحته واستمد لقحته وقال له الق
دواتك وخذ اداتك واكتب ٥ الكرم ثبت الله جيش
سعودك يزين واللوم غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع
يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف
والسمح يغذي والمحك يقذي والعطايا تجي والمطال يشجي
والدعا يقي والمدح ينقي والحر يجزي والالطاط يخزي
واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة بني الامال بغي وما ضن
الا غبين ولا غبن الا ضنين ولا خزن الا شقي ولا قبض راحة

تقي وما فتي وعدك يفي وارادك يشفي وهلالك يضي وحلمك
يغضي والاول تغني واعدا ولثمي وحسامك يفني
وسوددك يبني ومواصلك يجتني ومادحك يقتني ومماطلك
يعتب وسماؤك تغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك
شيخ حكاه فيّ ولم يتول له شي امله بطن حرصه يثب ومدحك
يجب مهورها يجب ومرامه يخف واواصره تشف وطراوة
يجذب وملامه يجتنب ووراه صفف مسهم شظف
وحصهم حيف وعمهم قشف وهو في دمع يجيب وولِه
يذيب وهم يضيف وكمد ينيف لما مول يخيب واهما يشيب
وعدو يثب وهد وتخيب ولم يرع وده فيغضب ولا
خبث عوده فيقضب ولا انفصم حبله فيفض ولا نشز
وصله فيبغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فينقض امله
يخفف المه ينث حمدك ين عالمه يفيث لاماطة شجبه

واعطا انشب ومداواة شجن ومراعاة نفس موصولا بخفض
وسرور غض ما غشي معهد غني او حسي وهم عني والسلم
فلما فرغ من املا رسالته وتجلي في هيجا البلاغة عن بسالته
ارضته الجماعة فعلا وقولا واوسعته حفاوة وطولا
ثم سيل من اي الشعوب نجاره وفي اي الشعاب وجاره
فقال

غسان اسرتي الصميمه ❊ وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس اشراقا ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمه
واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمه
ايام استحب مطرفي في روضها ماضي العزيمه
اختال في برد الشباب واجتلي النعم الوسيمه
لا اتقي نوب الزمان ولا حوادثه المليمه
فلو ان كربا متلفا لتلفت من كربي المقيمه
او يفتدى عيش مضى لفدته مهجتي الكريمه
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغار الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها ايدي الضباع المستضيمه
والذنب للايام لولا شومها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نما الى الوالي فملا فاه باللالي وسامه ان
ينضوي الى احشائه ويلي ديوان انشائه فاحسبه الحباء وظلفه
عن الولاية الاباء قال الراوي وكنت عرفت
عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبه على قدره قبل
استنارة بدره فاوحى الي بايماض جفنه الا اجرد عضبه
من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته

فاصباحوا الرعايه ولاجباله علي رفض الولايه فاعرض
متبسما وانشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نبوة ومعتبة يالها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السراب ولا تات امرا اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه وادركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد
وقد شمت برق عيد فكرهت الرحله عن تلك المدينه
او اشهد بها يوم الزينه فلما اظل بفرضه ونفله واجلب
بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من
برز للتعييد وحين التام جمع المصلي وانتظم واخذ الزحام
بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد
شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاه فوقف وقفة
متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه اجال
خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ
في اوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان
تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه الفت ورقة منهن لديه
قال فاتاح لي القدر المعتوب رقعه فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال
وممنوا بمحتال ومختال ومغتال
وخوان من الاخوان قال لي لاقلالي
واعمال من العمال في تضليع اعمالي
فكم اصلي باذحال واحوال وترحال
وكم اخطر في بال ولا اخطر في بال

فلت للدهر لما جار أطفالي أطفالي
فلولا أن أشبالي أغلالي وأغلالي
لما جهرت آمالي بي آلي ولا والي
ولا جرت أذيالي على مسحب إذلالي
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي
فهل حر يرى تخفيف أثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال

قال الحرث بن همام فلما استعرضت حلة الأبيات
تشوفت لمعرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن
الوصلة إليه العجوز وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز فرصدتها
وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستوكف الأكف
كفا فكفا وما إن تنجح لها عنا ولا يرشح على يدها إناء فلما
أكدى استعطافها وكد هامطافها عاذت بالاسترجاع

ومالت إلى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر
رقعتي فلم تعج إلى بقعتي وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان
شاكية لتحامل الزمان فقال إنا لله وأفوض أمري
إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

لم يبق صاف ولا مصاف ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها منّي النفس وعديها واجمعي الرقاع
وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد
الضياع قد غالت إحدى الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع
أنحرم ويحك القنص والحبالة والقبس والذبالة إنها
لضغث على إبالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدبجها
فلما دانتني قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها إن
رغبت في المشوف المعلم وأشرت إلى الدرهم فبوحي بالسر

المبهم وان ابيت ان تشرح فخذ هذه القطعة واسرح فقالت
الي استخلاص البدر التم والابلج الاهم وقالت دع جدالك
وسل عما بدا لك فاستطلعها طلع الشيخ وبلدته والشعر
وناسج بردته فقالت ان الشيخ من اهل سروج وهو الذي وشي
الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ومرقت
مروق السهم الراشق فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه
وتلهب كربي لمصابه بناظريه وآثرت ان افاجيه واناجيه
لاحكم عودي واسي فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطي رقاب
الجمع المنهي عنه في الشرع وعففت ان يتاذي بي قوم او يسري
الي لوم فسددت بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني
الي ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت اليه وتوسمته
علي انطباق جفنيه فاذا المعني ابن عباس وفراستي
فراسة اياس فعرفته حينيذ شخصي وآثرته باحد قمصي

واهبت به الي قرصي فهش لمعارفتي وعرفاني ولبي دعوة
رغفاني وانطلق وبيدي زمامه وظلي امامه والعجوز
ثالثة الاثافي والرقيب الذي لا يخفي عليه خاف ولما
استخلص وكنني واحضرته عجالة مكنتي قال يا حارث
امعنا ثالث قلت ليس الا العجوز قال ما دونها سر محجوز ثم
فتح كريمتيه وزار بتوءمتيه فاذا سراجا وجهه يتقدان
كانهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من
غرايب سيره ولم يلقني قرار ولا طاوعني اصطبار حتي سالته
ما دعاه الي التعامي مع سيره في المعامي وجوبه الموامي
فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتي اذا قضي وطره
آر الي بناظره وانشد

ولما تعامي الدهر وهو ابو الوري ... عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتي قيل اني اخو عمي ... ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق
الطرف وينقي الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة
ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف
اريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا
ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الاصل
محبوبة الوصل انيقة الشكل مدعاة الى الاكل لها
نحافة الصب وصقال العضب وآلة الحرب ولدونة
الغصن الرطب قال فنهضت فيما امر لادرأ عنه
الغمر ولم اهم الى انه قصد ان يخدع بادخالي المخدع ولا
تظنيت انه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول
فلما عدت بالملتمس في اقرب من رجع النفس وجدت الجو
قد خلا والشيخ والشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكرهم
غضبا واوغلت في اثرهم طلبا فكان كمن قمس في الماء

او عرج به الى عنان السماء

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحرث بن همام قال رايت من اعاجيب الزمان
ان تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان احدهما قد ذهب
منه الاطيبان والاخر كانه قضيب البان فقال
الشيخ ايد الله القاضي كما ايد به المتقاضي انه كانت
لي مملوكة رشيقة القد اسيلة الخد صبور على الكد
تخب احيانا كالنهد وترقد اطوارا في المهد وتجد في
تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف
ببنان وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في
ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى ولكن من غير
حياض ناصحة خدعة خباة طلعة مطبوعة على المنفعة
ومطواعة في الضيق والسعة اذا قطعت وصلت ومتى

فصلتها عنك انفصلت وطالما اخذت منك فجملت وربما جنت
عليك فآلمت وملمت وان هذا الفتى استخدمنيها لغرض
فاخدمته اياها بلا عوض على ان يجتني نفعها ولا يكلفها
الا وسعها فاولج فيها متاعه واطال بها استمتاعه ثم
اعادها وقد افضاها وبذل عنها قيمة لا ارضاها فقال
الحدث اما الشيخ فاصدق من القطا واما الافضا
ففرط عن خطا وقد رهنته على ارش ما اوهنته مملوكا
لي متناسب الطرفين منتسبا الى القين نقيا من الدرن والشين
يقارن محله سواد العين يفشي الاحسان وينشي الاستحسان
ويغذي الانسان ويتحامى اللسان ان سود جاد او وسم
اجاد واذا زود وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر
بمغنى وقلما ينكح الا مثنى يسمح بموجوده ويسمو عند
جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع

بزينته وان لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي اما
ان تبينا والا فبينا فابتدر الغلام وقال

أعارني ابرة لارفو اطمار اعفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطا مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ ان يسامحني بارشها اذ راى تاودها
بل قال هات ابرة تماثلها او قيمة بعد ان تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها شيئة تزودها
فالعين مني لرهنه وبيدي ينقص عن ان تقل مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعودها

فاقبل القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال

اقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناس خيف منى
لو ساعفتني الايام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت ابتغي بدلا من ابرة غالها ولا ثمنا

لئن قوس الخطوب ترشقني بمصميات من هاهنا وهنا
وخبر حالي تخبر حالة ضرًّا وبؤسًا وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يسطيع فك مروده لما غدا في يدي مرتهنا
ولا مجالي الضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي وقصته فانظر إلينا وبيننا ولنا
فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما
وخصاصهما أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا
به الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه
على وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم
مبرتي وسهمك لي عن إرث ابني ولست عن الخوامل
فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم له
القاضي وهيج أسفه على الدينار الماضي إلا أنه جبر بال الفتى

وبلبال الدهر بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات
وادرءا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي
كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين وبرفده مفصحين
تجمهم والقاضي ما يخبو ضجره منذ نض حجره ولا ينصل
كمده مذ بدر شح جلمده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل
على غاشيته وقال قد أشرب حسي وناجى حدسي أنهما صاحبا
دها لا خصما ادعاء فكيف السبيل إلى سبرهما واستنباط
سرهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته إنه لن يتم
استخراج خبيئهما إلا بهما فقفاهما عونا يرجعهما إليه
فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سنكما ولكما
الأمان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال
وأقدم الشيخ وقال
أنا السروجي وهذا ولدي والشبل في المخبر مثل الأسد

وما نعتت يده ولا يدي في إبرة يوما ولا في مرود
وإنما الدهر المسيء المعتدي مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد بالجد إن أجدى وإلا بالدد
نجلب الرشح إلى الحظ الصدي وننفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا بالمرصد إن لم يفاجي اليوم فاجي في غد

فقال له القاضي لله درك فما أعذب نفثات فيك وواهاً لك لولا خداع فيك وإني لك لمن المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهد الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جهته والخجل يلمع من جبهته قال الحارث ابن همام فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار ولا قرأت

مثلها

مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلما وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الأريب إذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب إماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على

ذوي اللفافات إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية
فقالت أيد الله القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من
أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة
وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني
وبين جاراتي بون وكان أبي إذا خطبني بناة المجد
وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم
واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة ألا يصاهر غير ذي
حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا
الخدعة نادي أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه
وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة
فاغتر أبي بزخرف محاله وزوجنيه قبل اختبار
حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني
إلى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة

وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي
وأثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في
الخضم والقضم إلى أن مزق مالي بأسره وأنفق مالي في عسره
فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت
له يا هذا إنه لا مخبأ بعد بوس ولا عطر بعد عروس فانهض
للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك فزعم
أن صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من
الفساد ولي منه سلالة كأنها خلالة وكلانا ما ينال
معه شبعة ولا يرقأ له من الطوى دمعة وقد قدته
إليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم
بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت
قصص عرسك فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك
وأمرت بحبسك فأطرق إطراق الأفعوان ثم شمر للحرب

العوان وقال

اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته من أناس ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجا به أكسد شيء في سوقه الأدب

لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب فيهم إلٌّ ولا نسب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لصفر ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري الملم إلى سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا بتات إليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت ساقتي الديون من دونها العطب
ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهمها أن بناني بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لتنجح الأرب

فوالذي سارت الرفاق الى كعبته تستحثها النجب

ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب

ولا بكفي مذ نشأت نبط بها الا مواضي اليراع والكتب

بل فكري ينظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب

وهذه الحرفة المشار الى ما كنت احوي بها واجتلب

فاذن لشرحي كما اذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده واكمل انشاده عطف القاضي الى الفتاة بعد ان شغف بالابيات وقال اما انه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل الكرام وميل الايام الى اللئام واني لاخال بعلك صدوقا في الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين انه معروق العظم واعنات المعذر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري ابا عذرك ونهنهي من غربك وسلمي لقضاء ربك ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبضة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار والموسر بعد الاعسار قال الراوي وكنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغ شمسه ونزغ عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب

للكتاب الا اني قلت بعد ما فصل ووصل الى ما
وصل لو ان لنا من ينطلق في اثره لأتانا بنفص خبره
وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضي احد امنائه وامره
بالتجسس على انبائه فما لبث ان رجع مدهدها وقهقه
مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال
لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشأ لي طربا فقال له ما
ذا رأيت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج
يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه
ويقول

كدت أصلى ببليه من وقاح شمريه
وأزور السجن لولا حاكم الاسكندريه

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته
فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار

قال اللهم حرّمه عبادك المفترين حرّم حبسي
على المتأدبين ثم قال لذلك الامين علي به فانطلق
مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأيه مخبرا بنأيه فقال القاضي
اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به اولى
ولأريته ان الآخرة خير له من الأولى قال الحارث بن
همام فلما رأيت صغو القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه
عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار
وأسى الكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق
الى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا
عزمة مشمعلة فلما القيت بها المراسي وشددت امراسي
وبرزت من الحمام بعد سبت راسي رأيت غلاما افرغ

في قالب الجمال والبس من الحسن حلة الكمال وقد
اعتلق شيخ بردنه يدعي انه قتل ابنه والغلام ينكر
عرفانه ويكبر قرفه والخصام بينهما متطاير الشرار
والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى ان تراضيا
بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان
ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا
الى ناديه كالسليك في عدوه فلما احضراه جدد
الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد
فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته فقال
انها افيكة افاك على غير سفاك وعضيهة محتال
على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ ان شهد لك عدلان
من المسلمين والا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ
انه جدله خاليا وافاح دمه خاليا فانى لي شاهد

ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين لك
ايصدق ام يمين فقال له انت المالك لذلك
مع وجدك المنهالك على ابنك الهالك فقال
الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر
والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون
بالسقم والانوف بالشمم والخدود باللهب والثغور
بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف انني ما
قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي
غمدا والا فرمى الله جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي
بالجلح وطلعي بالبلح وورد وجنتي بالبهار ومسكي بالبخار
وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالاظلام
ودواتي بالاقلام فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا
الايلاء بهذه الالية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم

يحلف به أحد وأبى الشيخ الا التجرّع بعد اليمين التي اخترعها
وأمقر له جرعها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر وبحجة
المراضي تعور والغلام في ضمن ذلك يخلب الوالي بتلوّنه
ويطمعه في أن يلبّيه إلى أن ران هواه على قلبه وألبّ بلبّه
وسوّل له الوجد الذي تيّمه والطمع الذي توهّمه أن يخلص
الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من حباله الشيخ ثم يقتنصه
فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالأتقى وأقرب للتقوى
فقال إلام تشير لأقتفيه ولا أقف فيه فقال أرى أن تقصر
عن القيل والقال وتقتصر على مائة مثقال لأتحمّل منها بعضا
وأجني الباقي لك عرضا فقال الشيخ ما مني خلاف
فلا يكن لوعدك إخلاف فنقده الوالي عشرين ووزّع على
وزعته تكملة خمسين ورنّق ثوب الأصيل وانقطع لأجله
صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع اللجاج وعليّ في

غير أن توصّل إلى أن ينضّ لك الباقي وتحصّل فقال الشيخ
أفعل ذلك على أن لا أرمقه بليلتي ويرعاه إنسان مقلتي حتى
إذا أغفى بعد إسفار الصبح عما بقي من مال الصلح تخلّصت
فأتيته من قوب وبرّي براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال
له الوالي ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا قال الحارث
ابن همام فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج الشهرية علمت أنه
علم السروجية فلبثت إلى أن تهرّت نجوم الظلام
وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فإذا الشيخ
للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال أي ومحلّ
الصيد فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام
قال هو في النسب فرخي وفي المكسب فخّي قلت فهلا اكتفيت
بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرّته فقال لو
لم تبرز جبهته السين لما قنصت الخمسين ثم قال ث

الليلة عندي لنطفي نار الجوى ونبدل الهوى من النوى
فقد أجمعت أن أنسل بسحرة وأصلي قلب الوالي نار حسرة
قال فقضيت الليلة معه في سمر آنق من حديقة زهر وخميلة
شجر حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج
الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق وسلم
إلي ساعة الفراق رقعة محكمة الإلصاق وقال ادفعها إلى
الوالي إذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل
المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فإذا فيها مكتوب

قل لوال غادرته بعد بيني نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين

فقد اعتضت منه حزما وفهما واللبيب الأريب يبغي ويزين
فاغضض من بعدها المطامع واعلم أن صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم
أبل أعذل أم عذر

المقامة الحادية عشرة

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي
القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور
في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت إلى محلة الأموات

ولهات الرفات رأيت جمعاً على قبرٍ يُحفر ومجنونٍ يُقبر
فانحزت إليهم متفكراً في المآل ومتذكراً من درج من الآل
فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخٌ من رباوة
مخصراً بهراوة وقد لفّع وجهه بردائه ونكّر شخصه
لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادّكروا
أيها الغافلون وشمّروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر
أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم
هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون
لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعينٍ تدمع ولا تعتبرون
بنعيٍ يُسمع ولا ترتاعون لإلفٍ يُفقد ولا تلتاعون لمناحة
تُعقد يشيّع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد
مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلّي بين
ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم

على انثلام الحبّة وتناسيتم اخترام الأحبة واستكنتم
لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الأسرة وضحكتم
عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف
الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد
النوادب إلى إعداد المآدب وعن تحرّق الثواكل إلى التأنّق
في المآكل لا تبالون بمن هو بالٍ ولا تخطرون ذكر الموت
ببالٍ حتى كأنكم قد علقتم من الحِمام بذمام أو حصلتم من
الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم
مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما توهمون ثم كلا
سوف تعلمون ثم أنشد

أيا من يدّعي الفهمْ ۰ إلى كم يا أخا الوهمْ ۰ تعبّي الذنب والذمّ
۰ وتخطي الخطأ الجمّ ۰

أما بان لك العيبْ ۰ أما أنذرك الشيبْ ۰ وما في نصحه ريبْ
۰ ولا سمعك قد صمّ ۰

أما نادى بك الموت ۝ أما أسمعك الصوت ۝ أما تخشى من الفوت
۝ فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو ۝ وتختال من الزهو ۝ وتنصب الى اللهو
۝ كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك ۝ وابطا تلافيك ۝ طباعا جمع فيك
۝ عيوبا شملها انضم
إذا أسخطت مولاك ۝ فما تقلق من ذاك ۝ وإن أخفق مسعاك
۝ تلظيت من الهم
وإن لاح لك النقش ۝ من الأصفر تهتش ۝ وإن مر بك النعش
۝ تغاممت ولا غم
تعاصي الناصح البر ۝ وتعتاص وتزور ۝ وتنقاد لمن غر
۝ ومن مان ومن نم
وتسعى في هوى النفس ۝ وتحتال على الفلس ۝ وتنسى ظلمة الرمس
۝ ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ ۝ لما طاح بك اللحظ ۝ ولا كنت إذا الوعظ
۝ جلا الأحزان تغتم
ستذري الدم لا الدمع ۝ إذا عاينت لا جمع ۝ يقي في عرصة الجمع
۝ ولا خال ولا عم
كأني بك تنحط ۝ إلى اللحد وتنغط ۝ وقد أسلمك الرهط
۝ إلى أضيق من سم
هنالك الجسم ممدود ۝ ليستأكله الدود ۝ إلى أن ينخر العود
۝ ويمسي العظم قد رم
ومن بعد فلا بد ۝ من العرض إذا اعتد ۝ صراط جسره مد
۝ على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل ۝ وكم ذي عزة ذل ۝ وكم من عالم زل
۝ وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر ۝ لما يحلو به المر ۝ فقد كاد يهي العمر
۝ وما أقلعت عن ذم

ولا تركن إلى الدهر ۝ وإن لان وإن سر ۝ فتلفى كمن اغتر
بأفعى تنفث السم ۝
وخفض من تراقيك ۝ فإن الموت لاقيك ۝ وسار في تراقيك
وما ينكل إن هم ۝
وجانب صعر الخد ۝ إذا ساعدك الجد ۝ وزم اللفظ إن ند
فما أسعد من زم ۝
ونفس عن أخي البث ۝ وصدقه إذا نث ۝ ورم العمل الرث
فقد أفلح من رم ۝
ورش من ريشه انحص ۝ بما عم وما خص ۝ ولا تأس على النقص
ولا تحرص على السلم ۝
وعاد الخلق الرذل ۝ وعود كفك البذل ۝ ولا تستمع العذل
ونزهها عن الضم ۝
وزود نفسك الخير ۝ ودع ما يعقب الضير ۝ وهيئ مركب السير
وخف من لجة اليم ۝

بذا أوصيت يا صاح ۝ وقد بحت كمن باح ۝ فطوبى لفتى راح
بآدابي يأتم ۝

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فاجتلب به أولئك الملأ الأحيى أترع كمه ولا ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت إلي مستسلما وواجهني مسلما فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه فقلت له

ألكم يا أبا زيد ۝ أفانينك في الكيد ۝ لتنحاش لك الصيد
ولا تعبأ بمن ذم ۝

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصر ودع اللوم ۝ وقل هل يرى اليوم ۝ فتى لا يقمر القوم
متى ما دست الثم ۝

فقلت له بعداً لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك
في طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا مثل روث مفضض
او كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق
ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

المقامة الثانية عشرة

حكى الحرث بن همام قال شخصت من العراق
الى الغوطة وانا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني
خلو الذرع ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق
النفس وانضاء العنس الفيتها كما تصفها الالسن وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى
وجريت طلقاً مع الهوى وطفقت افض بها ختوم الشهوات
واجتني قطوف اللذات الى ان شرع سفر في الاعراق
وقد استفقت من الاغراق فعادني عيد من تذكار

الوطن والحنين الى العطن فقوضت خيام الغيبة ورحلت
جواد الاوبة ولما تأهب الرفاق واستتب الاتفاق
اجمعنا المسير دون استصحاب الخفير فذبناه من
كل قبيلة واعملنا في تحصيله الف حيلة فاعوز
وجدانه في الاحياء حتى خلنا انه ليس من الاحياء
فحارت لعوزه عزوم السيارة وانتدوا باب جيرون
للاستشارة فما زالوا بين عقد وحل ونقض وسحل الى
ان نفد التناجي وقنط الراجي وكان بحذائهم شخص ميسمه
ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة
النسوان وفي عينيه ترجمة الاشواق وقد قيد لحظه
بالجمع وارهف اذنه لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم
وقد برح بهم خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم
وليأمن سربكم فساخفركم بما يسرو روعكم ويبدو

طو علم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع
الخفارة واستبنا الجعالة له عن السفارة فزعم انها
كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الانام
فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ
وغض فتبين لنا انا استضعفنا الخبر واستشعرنا
الخور فقال ما لكم اخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا
ولطالما والله جبت مخاوف الاقطار وولجت مقاحم
الاخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب
جفير ثم اني سانفي ما رابكم واستسل الحذر الذي نابكم
بان اوافقكم في البداوة وارافقكم في السماوة فان
صدقكم وعدي فاجدوا واسعدوا جدي وان
كذبكم فمي فمزقوا اديمي واريقوا دمي قال الحارث
ابن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا

عن مجادلته واستهمنا على معادلته وقضينا بقوله
عرى الريبات والغينا اتقاء العائث والعائب ولما
علمت الرحال وازف الترحال استنزلنا كلماته الراقية
لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرا كل منكم ام القرآن
كلما اظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت
خاشع اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا
واقي المخافات ويا كريم المكافاة ويا موئل العفاة
ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم انبيائك ومبلغ
انبائك وعلى مصابيح اسرته ومفاتيح نصرته واعذني
من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين واعنات
الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان
المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين
وغيلة المغتالين واجرني اللهم من جور المجاورين ومجاورة

الجائرين وكفّ عنّي أكفّ الضاغمين وأخرجني من ظلمات
الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اللهم احفظني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي
ورجعتي وتصرّفي ومنصرفي وتقلّبي ومنقلبي واحفظني
في نفسي ونفائسي وعرضي وعرَضي وعددي وعُددي
وسكني ومسكني وحولي وحالي ومآلي ومالي ولا
تلحق بي تغييرًا ولا تسلّط عليّ مغيرًا واجعل لي من لدنك
سلطانًا نصيرًا ۝ اللهم احرسني بعينك وعونك
واخصصني بأمنك ومنّك وتولّني باختيارك وخيرك
ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية
وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأواء
واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء
إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظًا ولا

يحير لفظًا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته
غشية ثم أقنع رأسه وصعّد أنفاسه وقال أقسم
بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج
والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج إنها
لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسي الخوذ من درسها
عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب إلى الشفق ومن
ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال
فتلقّناها حتى أتقنّاها وتدارسناها لكيلا ننساها
ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي
الحمولات بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهّدنا بالعشي
والغداة ولا يستنجز منّا العدات حتى إذا عاينّا أطلال
عانة قال لنا الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم
وأريناه المعلوم والمختوم وقلنا له اقض ما أنت قاض

فما نجد فينا غير راضٍ فما استخفّه سوى الخفّ ولا حلي
بعينه غير العين فاختلّ منها وقره وثاب بما يسدّ فقره
ثم خالسنا مخالسة الطرّار وانصلت منا انصلات
الفرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امّراقه ولم نزل
ننشده بكل نادٍ ونستخبر عنه كل مغدٍ وهادٍ إلى
أن قيل إنه مذ دخل غانة ما زايل الحانة فأغراني خبث
هذا القول بسبكه والانسلاك فيما لستُ من
سلكه فادّلجتُ إلى الدسكرة في هيئة منكّرة
فإذا الشيخ في حلّة ممصّرة بين دنان ومعصرة وحوله
سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر
وهو تارة يستبزل الدنان وطورًا يستنطق العيدان
ودفعة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما
عثرتُ على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى

لك يا ملعون أنسيت يوم جيرون فضحك مستغربًا ثم أنشد
مطربا

لزمتُ السِّفار وجُبتُ القفار وعِفتُ النِّفار لأجني الفرح
وخضتُ السيول ورُضتُ الخيول لجرّ ذيول الصِّبا والمرح
ومِطتُ الوقار وبعتُ العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطِّماح إلى شرب راح لما كان باح فمي بالمُلَح
ولا كان ساق دهائي الرفاق لأرض العراق بحمل السُّبَح
فلا تغضبنّ ولا تصخبنّ ولا تعتبنّ فعذري وضح
ولا تعجبنّ لشيخٍ أبنّ بمغنى أغنّ ودنّ طفح
فإنّ المدام تقوّي العظام وتشفي السِّقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط ستور الحيا واطّرح
وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح
فبُح بهواك وبرّد حشاك فزند الأسى به قد قدح

وداوِ الكلومَ وسلِّ الهمومَ ببنت الكروم التي تُقترح

وخصَّ الغبوقَ بساقٍ يسوقُ بلا المشوق اذا ما طمح

وشادٍ يُشيدُ بصوتٍ يميد جبال الحديد له ان صدح

وعاصِ النصيح الذي لا يُبيح وصال المليح اذا ما سمح

وجُل في المجال ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح

وفارق أبا لك اذا ما ابال ومدّ الشباك وصِد من سنح

وصافِ الخليل وناف البخيل وأول الجميل ووال المنح

ولذ بالمتاب امام الذهاب فمن دقّ باب كريم فتح

فقلت له بخٍ بخٍ لرواتبك وأفٍّ وتفٍّ لغوائلك

فبالله من أيّ الأعياص عيصك فقد أعضلني عويصك

فقال ما أحبّ اذ أفصح عني ولكني سأكني

أنا أطروفة الزمان وأعجوبة الأمم

وأنا الحوّل الذي احتال في العرب والعجم

غير أني ابن حاجة هاضه الدهر واهتضم

وأبو صبية بدوا مثل لحم على وضم

وأخو العيلة المعيل اذا احتال لم يُلم

قال الراوي فعرفت حينئذ انه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسوّد وجه الشيب وساءني عظم تمرّده وقبح تورّده فقلت له بلسان الأنفة وادلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنى فتصح فزمجر وتنكّر وفكّر ثم قال انها لليلة مراح لا تلاح ونهزة شرب راح لا كفاح فعدّ عما بدا الى أن نتلاقى غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبتّ ليلتي لابسا حداد الندم على تقبلي خطى القدم الى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله سبحانه ألا أحضر بعدها حانة خمار ولو أعطيت ملك بغداذ وألا أشهد معصرة

الشراب ولو ردا على عصر الشباب ثم إنا رحلنا العيس وقفينا
التغليس وخلينا بين الشيخين أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشرة

البغدادية

روى الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء
مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجري
معهم ممار في مضمار فأفضنا في حديث يفضح الأزهار إلى أن
نصفنا النهار فلما غاض در الأفكار وصبت النفوس
إلى الأوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر إحضار
الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من
الجوازل فما كذبت إذ رأتنا أن عرت بنا حتى إذا ما حضرتنا
قالت حيا الله المعارف وإن لم يكن معارف اعلموا يا مآل
الآمل وثمال الأرامل أني من سروات القبائل وسريات
العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب

ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الأعضاد
وفجع بالجوارح وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا
الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند
ووهنت اليمين وبان المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ
اغبر العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومي
الأبيض وابيض فودي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق
فحبذا الموت الأحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه
اصفراره قصوى بغية أحدهم ثردة وقصارى منيته
بردة وكنت آليت أن لا أبذل الحر إلا للحر ولو أني مت من
الضر وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتني
فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمي
وصدق توسمي ونظر إلي بعين يقذيها الجمود ويقذيها
الجود قال فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها

وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلمامك فقالت يفجر
الصخر ولا فخر فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم نبخل
بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم
أشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة
عجوز درردبيس وأنشأت تقول

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤسا له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه من دنس الذم نقي رحيض
يطفي بأن الجوع عنا ولو بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لي صفحة ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها
أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها
من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح
فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت تتلوها

الأصابع وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد
ممرها إلى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط
السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق
مغتصة بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار
واملست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال إلى
مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا
ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدو من العجاب
فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قد سفر
فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى إليه فاستلقى
استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع
ينشد

يا ليت شعري أدهري أحاط علماً بقدري
وهل درى كنه غوري في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف عليهم وبنكر
أصطاد قوماً بوعظ وآخرين بشعر
وأستفز بخل عقلاً وعقلاً بخمر
فتارة أنا صخر وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره
وبديعة أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن
شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد
فثنيت إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا
لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام
لحجة الاسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب
والرفث صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت
للضرورة بما يقي حر الظهيرة فبينما انا تحت طراف مع
رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء واعشى الهجير عين
الحرباء اذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع
فسلم الشيخ تسليم اديب اريب وحاور محاورة قريب لا غريب
فاعجبنا بما نشر من بسطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه
وقلنا له ما انت وكيف ولجت وما استاذنت فقال اما
انا فعاف وطالب اسعاف وسر ضري غير خاف والنظر
الي شفيع لي كاف واما الاستئناس الذي علق به الارتياب
فما هو بعجاب اذ ما على الكرماء من حجاب فسالناه اني

اهتدى الينا وبم استدل علينا فقال ان للاكارم نشرا
تنم نفحاته وترشد الى روضه فوحاته فاستدللت
بارج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرني تضوع رندكم بنجح
المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنكفل
باعانته فقال ان لي مآربا ولفتاي مطلبا فقلنا كلا
المرامين سيقضى وكلاكما سوف يرضى ولكن الكبر
الاجر فقال الاجل ومن دحا السبع الغبر ثم وثب للمقال
كالمنشط من العقال وانشد

اني امرؤ ابدع بي بعد الوجى والتعب
وشفني شاسعة يقصر عنها خببي
ومامعي خردلة مطبوعة من ذهب
فحيلتي مسندة وحيرتي تلعب بي
ان اتخلف راجلا خفت دواعي العطب

وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فزفرني في صعد وعبرني في صبب
وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب
وجاركم في حرم ووفركم في حرب
ما لاذ من راع بكم فخاف ناب النوب
ولا استندى أمل جداكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي وأحسنوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي أسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعتراكم شبهة في أن دائي أدبي

فليتني لم أكن رضعت ثدي الأدب
فقد دهاني شؤمه وعقني فيه أبي

فقلنا له أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسنمطيك ما يوصلك إلى بلدك فما ماريته ولا بدل فقال له قم يا بني كما قام أبوك وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض نهوض البطل للبراز الفتى صح وأصلت لسانا كالعضب الجراز وأنشأ يقول

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده
ومن إذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
أريد منكم شواء وجردقا وعصيده
فإن غلا فرقاق بجوار الشهيده
أو لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده

وإن تعذّر نظرًا فنجوة ونهيده

فأحضروا أما نسيئة ولو شظي من قديده

وروّجوه فنفسي لما يروج مريده

والزاد لا بدّ منه لرحلة لي بعيده

وأنتم خير رهط يدعون عند الشديده

أيديكم كلّ يوم لها أيادٍ جديده

وراحكم واصلات شمل الصلات المفيده

ونعتي في مطاوي ما ترفدون زهيده

وفي أجر وعقبى تنفيس كربي حميده

ولي نتائج فكر يفضحن كلّ قصيده

قال الحارث بن همّام فلمّا رأينا الشبل يشبه الأسد أرحلنا الوالد وزوّدنا الولد فقابلا الصنع بشكر نشرا أردنه وأدّيا به دينه ولمّا عزما على الانطلاق

وعقد للرحلة حبك النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عندنا عدة عرقوب أو بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلّا بل جلّ معروفكم وجلّى فقلت له فدنا كما دنّاك وأفدنا كما أفدناك أين الثويّه فقد ملكتنا فلتة الحيرة فتنفّس تنفّس من ادّكر أوطانه وأنشد والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن كيف السبيل إليها

وقد أناخ الأعادي بها وأثخنوا عليها

فوالتي سرت أبغي حطّ الذنوب لديها

ما راق طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره أن يستوكفها ولم يملك أن يكفكفها فقطع إنشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولّى

المقامة الخامسة عشرة

أخبر الحرث بن همام أرقت ذات ليلة حالكة
الجلباب هامية الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب
ومني بصد الأحباب فلم تزل الأفكار يهجن همي ويجلن
في الوساوس وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق
سميرا من الفضلا ليقصر طول ليلتي الليلا فما انفضت
منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت
خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل الحظ
قد أقمر فنهضت إليه عجلان وقلت من الطارق الآن
فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغي الإيواء
لا غير وإذا أسحر فقد سرى فلما دل
شعاعه على شمسه وتم عنوانه بسر طرسه علمت أن
مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام

وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حناه الدهر
صعدته وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان
عذب ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من
الطروق في غير وقته فدانيته بالمصباح المتقد
وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا
ريب ولا رجم غيب فأحللته محل من أظفرني بقصوى
الطلب ونقلني من وقذ الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ
يشكو الأين واختلف في كيف وأين فقال الباغي
ربغي فقد أتعبني طريقي فظننته مستبطنا جمع
السغب منداسا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر
للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم
وأعرض إعراض المتبشم فشق ظنا بامتناعه واحتفظني
حوول طباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام

والشعه بجمع الملام فتبين من لحاظ ناظري ما خامر
خاطري فقال يا ضعيف الثقة بأهل الفقه عد عما
أخطرته ببالك واستمع إليّ لا أبا لك فقلت هات يا
أخا الترهات فقال اعلم أني بت البارحة حليف إفلاس
ونجي وسواس فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح شهبه
غدوت وقت الإشراق إلى بعض الأسواق متصديا لصيد
يسنح أو حر يسمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه
وأحسن إليه مصيفه يجمع على التحقيق صفاء الرحيق
ولون العقيق وقبالته لبأ قد برز كالإبريز الأصفر
والحلي في اللون المزعفر يثني على طاهيه بلسان
تناهيه ويصوب رأي مشتريه ولو نقد حبة القلب
فيه فأسرتني الشهوة بأشطانها وأسلمتني العيمة إلى
سلطانها فبقيت أحير من ضب وأذهل من صب لا وجد

يوصلني إلى نيل المراد ولثمر الازدياد ولا قدم تطاوعني
على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حداني القرم وسورته
والسغب وفورته على أن أنتجع كل أرض وأقنع من
الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي دلوي
إلى الأنهار وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة إلى أن
ضعفت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت
بكبد حرى وانثنيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى وبينما
أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد إذ قابلني شيخ بتأوه
آهة الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما أنا فيه
من داء الذيب والجوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع
في مخاتلته فقلت له يا هذا إن لبكائك لسرا وورا
تحرقك لشرا فأطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك
فإنك ستجد مني طبا أسيا وعونا مواسيا فقال والله

ما تأوّهي لعيش فات ولا من دهر آفات بل لانقراض
العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه فقلت له وأيّ
حادثة نجمت وقضية استعجمت حتى هاجت لك
الأسف على فقد من سلف فأبرز رقعة من كمّه وأقسم
بأبيه وأمه لقد أتى بها أعلام المدارس فما انمازوا عن
الأعلام الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولا
خرس سكان المقابر فقلت أرنيها فلعلي أغني فيها
فقال ما أبعدت في المرام ورب رمية من غير رام ثم
ناولنيها فإذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فا ... ق ذكاءً فما له من شبيه
أفتنا في قضية حار عنها ... كل قاضٍ وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر ... تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر ... أخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز أخوها ... ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا ... فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما رأى شعرها ولمح سرها قال له على
الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت إلا أني
مضطرم الأحشا مضطر إلى العشا فأكرم مثواي ثم
استمع فتواي فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت
عن الاشتطاط فنهض معي إلى مربعي لنظفر بما نبتغي ونتقلب
كما نبتغي قال فصاحبته إلى ذراه كما حكم الله
فأدخلني بيتاً أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت
إلا أنه جبر ضيق ربعه بسعة ذرعه فحلمني في القرى
ومطايب ما يشترى فقلت أريد زهي راكب على أشهى
مركوب وأنفع صاحب مع أضر مصحوب فأطرق ساعة
طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخيلة مع لبا سخيلة

فقلت اباهما غنيت ولاجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستشيطا وقال اعلم اصلحك الله ان الصدق باهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الانبيا وحلية الاوليا على ان تلحو من مان وتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها وتابى الدنية ولو اضطرت البهائم اني لست لك بزبون ولا اغضي على صفقة مغبون وها انا قد انذرتك قبل ان تنتهك الستر وينعقد بيننا الوتر فلا تبلغ تدبر الانذار وحذار من المكاذبة حذار فقلت له والذي حرم اكل الربا واحل اكل التمر واللبا ما فهت بزور ولا دلست بغرور وسيتجلى حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا الى السوق فما كان باسرع من ان اقبل بهما يدلج ووجهه

من التعب يتلهب فوضعهما لدي ووضع المن علي وقال اصب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فجردت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا التهمت اليوعين وغادرتهما اثرا بعد عين دبت حميا في اطلال الشباب وفكرت في جواب الابيات فلبث ان قام واحضر الدواة والاقلام وقال قد ملات الجراب فامل الجواب والا فهبها ان جليت لاغرم ما اكلت فقلت له ما عندي الا التحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل اني كاشف سرها الذي يخفيه

ان ذاك الميت الذي قدم الشرع اخا عرسه على ابن ابيه

رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه

ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن له يكنيه

فهو ابن ابنه بغير مرا أو أخو عرسه بلا أعجوبه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها من أمها ما بقيه
وتخلى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا بكفك ابن أبيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه

فلما أبنت الجواب واستثبت منه الصواب قال
إلى أهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت إني
بدار غربة وفي إيوائي أفضل قربة لا سيما وقد أغدف
جنح الظلام وسبح الرعد في ظلل الغمام فقال أعزب عافاك
الله إلى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت فقلت ولم ذاك
مع خلو ذراك قال لأني أتمعن النظر في التفاصيل ما
حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ولا

تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وبطن ما
بطنت لم يخلص من كظة مدنفة أو هيضة متلفة
فدعني بالله كفافا واخرج عني ما دمت معافى فوالذي
يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما سمعت أليته وبلوت
بليته خرجت من بيته بالرغم وتزود الغم تجود بي السما
وتخبط بي الظلما وتتحامى الكلاب وتتقاذف بي الأبواب
حتى ساقني إليك لطف القضا فشكرا ليد البيضاء
فقلت له أجب بلقائك المناح إلى قلبي المرتاح ثم
أخذ يقص في حكاياته وينشط مضحكاته ومبكياته
إلى أن عطس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فأهب
لإجابة الداعي ثم عطف إلى وداعي فعقته عن الانبعاث
وقلت الضيافة ثلاث فأشد وحرج ثم رام المخرج
وانشد أدعج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون إليه

قال الحارث بن همام فودعته بقلب دامي
القرح ووددت لو أن ليلتي بطينة الصبح

المقامة السادسة عشرة

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب
في بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها
بنفلها أخذ طرفي رفقة قد أخذوا ناحية وامتازوا
صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون
زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد
وأدب يستزاد فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم وقلت
لهم أتقبلون نزيلا يطلب جنى الأسمار لا جنى الثمار ويبغي
ملح الحوار لا ملحا الحوار فحلوا إلى الحبى وقالوا مرحبا

مرحبا فلم أجلس إلا لمحة باصر أو خاطف أو نغبة
طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا
بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي
الألباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس القربات
تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة ذوي
الحاجات وإني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم
لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من
يفثأ عنا حمياء المجاعة فقالوا له يا هذا إنك حضرت
بعد العشاء ولم يبق إلا فضلات العشاء فإن كنت بها قنوعا
فما تجد فينا منوعا فقال إن أخا الشدة ليقنع بلفاظات
الموائد ونفاضات المزاود فأمر كل منهم عبده أن
يزوده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر عليه وجلس
يرقب ما يحمل إليه وثبنا نحن إلى استثارة ملح الأدب

وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى ان جلنا في ما لا
يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا
الى ان نستنتج له الافكار ونفترع منه الابكار على ان
ينظم البادي ثلث جمانات في عقده ثم تتدرج الزيادات
من بعده فيربع ذو ميمنته في نظمه ويسبع صاحب ميسرته
على رغمه قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة
اصابع الكف وتألفنا الفة اصحاب الكهف فابتدر
لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال لم اخا مل وقال مباريه كبر
رجا اجر ربك وقال الذي يليه من يرب اذا بر ينم وقال
الآخر سكت كل من نم لك تكس وافضت النوبة الي وقد تعين
نظم السمط السباعي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر
ويثري ويعسر وفي ضمن ذلك استطعم فلا اجد من يطعم
الى ان ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي

ابو زيد
لو حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا
لو نزلت هذه باياس لامسك على ياس وجعلنا نفيض
في استصعابها واستغلاق بابها وذلك الضيف المعزى
يلحظنا لحظ المزدري ويؤلف الدرر ونحن لا ندري
فلما عثر على افتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم
ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم
وفوق كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سانوب منابك
واكفيك ما نابك فان شئت ان تنثر ولا تتعثر
فقل مخاطبا المزن ذم البخل واكثر العذل لذي بخل مومل
اذا لم ومَلك بذل وان احببت ان تنظم فقل للذي تعظم

أُسْ أرملا اذا عرا ۞ وارع اذا المرء اسا
أسند اخا نباهة ۞ ابن اخاء دنسا
أسل جناب غاشم ۞ مشاغب ان جلسا

أشرا ذاهب مرّاً وآرم به إذا رسا

أسكن بقو فعسى بسعف وقت كسا

قال فلما سحرنا بأبياته وحسرنا سعر غاياته

مدحناه حتى استعفى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمّر

ثيابه وازدوج جرابه ونهض ينشد

لله درّ عصابةٍ صدقوا المقال مقاولا

فاقوا الأنام فضائلاً مأثورةً وفواضلا

جاورتهم فوجدت سحبان لديهم باقلا

ووصلت فيهم سائلاً فلقيت جوداً سائلا

أقسمت لو كان الكرام حيا لكانوا وابلا

ثم خطا قيد محبز وعاد مستعيذاً من الجبن

وقال يا عزّ من عدم الآل وكنز من سلب المال إن الغاسق

قد وقب ووجه المحجة قد انتقب وبيني وبين كِنّي

ليل دامس وطريق طامس فهل من مصباح يؤمنني العثار

ويبين لي الآثار قال فلما جيء بالملتمس وجلّى الوجوه ضوء

القبس رأيت صاحب صيدنا هو أبو زيدنا فقلت لأصحابي

هذا الذي أشرت إلى أنه إذا نطق أصاب وإن استمطر

صاب فاتلعوا نحوه الأعناق وأحدقوا به الأحداق

وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجبروا عيلته فقال

حبّاً لما أحببتم ورحباً بكم إذ رحبتم غير أني فصدتكم

وأطفالي يتضوّرون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع

وإن استرثوني خامرهم الطيش ولم يصف لي العيش فدعوني

لأذهب فأسدّ مخمصتهم وأسيغ غصّتهم ثم أنقلب إليكم

على الأثر متأهباً للسمر إلى السحر فقلنا لأحد الغلمة اتبعه

إلى فئته ليكون أسرع لفيئته فانطلق معه مضطبناً

جرابه ومحتثاً إيابه فأبطأ إبطاءً جاوز حده ثم عاد

الغلام وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث
قال أخذني في طرق متشعبة وسبل متشعبة حتى
أفضينا إلى دويرة خربة فقال ها هي مناخي ووكر
أفراخي ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه وقال لعمري لقد
خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي من
نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنى نخلة ... فلا تقربنها إلى قابل
وإما سقطت على بيدر ... فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت ... فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن إذا ما سبحت ... فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف ... وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب ... فما مل قط سوى الواصل

ثم قال أحرزها في تامورك واقتد بها في أمورك
وبادر إلى صحابك في كلاءة ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم
تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني إن السهر في
الخرافات لمن أعظم الآفات ولست أبغي أحراسي ولا
أجلب الهوس إلى رأسي قال الراوي فلما وقفنا
على شعره ومكره تلاومنا على تركه
والاغترار بإفكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة

وتعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في مطارح
البين ومطامح العين فتية عليهم سيما الحجى وطلاوة
نجوم الدجى وهم في تماراة مشتدة الهبوب ومباراة
مستشطة الألهوب فهزني لقصدهم هوى المحاضرة واستجلاء
المناظرة فلما انخرطت في نمطهم وانتظمت في سمطهم
قالوا أأنت ممن يبلي في الهيجا ويلقي دلوه في الدلا

فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب
فأضربوا عن حجاجي وأفاضوا في التناجي وكان في بحبوحة
حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته
السموم حتى عاد أنحل من قلم وأقحل من حلم إلا أنه كان يبدي
العجاب إذا أجاب وينسي سحبان كلما أبان فأعجبت بما
أوتي من الإصابة والتبرز على تلك العصابة وما زال يفضح
كل معمى ويصمي في كل مرمى إلى أن خلت الجعاب ونفد
السؤال والجواب فلما رأى انفضاض القوم واضطرارهم إلى
الصوم عرض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فقالوا
له جد ومن لنا بذا فقال أتعرفون رسالة أرضها
سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوال البين وجليت في
لونين وصلت إلى الجهتين وبدت ذات وجهين إن نزعت من
مشرقها فأهيب برونقها وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها

قال فكأن القوم رموا بالصمات أو حقت عليهم
كلمة الإنصات فما بس منهم إنسان ولا فاه لأحد
لسان فحين رآهم جمًّا كالأنعام وصموتًا كالأصنام
قال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة
ثم ها هنا مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت خواطركم
مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له والله
ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح فارح
أفكان بأمن الكد وهني العطية بالنقد وأنخذ ما
إخوانًا يشبون إذا وثبت ويثبتون متى استثبت
فأطرق ساعة ثم قال سمعًا لأمركم وطاعة فاشتملوا مني
وانقلوا عني ٥ الإنسان صنيعة الإحسان ورب
الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب
الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر

واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي
النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق
سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق
شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزم في
زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات
يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية وهنية
النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف ونفق
المعونة يبني المروءة وفضل الصدر سعة الصدر
وزينة الرعاة منع السعاة وحرا المدائح بث المنائح
ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغواية استغراق
الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعدي الادب يحبط
القرب وتناسي الحقوق ينشي العقوق وتحاشي الريب
يرفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار ونبوه

الاقدار وسمو اناة الامال وشرف الاعمال في تقصير الآمال
واطالة الفكر تنقح الحكمة وراس الرياسة تهذيب
السياسة ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الاوجال
تتفاضل الرجال وتتفاضل الهمم تتفاوت القيم وتدبر
السفر يهن التدبير ونخل الاحوال تبين الاهوال وبموجب
الصبر يمنح النصر واستحقاق الاحماد بحسب الاجتهاد
ووجوب الملاحظة لقا المحافظة وصفا الموالي
بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الامانات واختبار
الاخوان يخفف الاحزان ودفع الاعدا بكف الاودا
وامتحان العقلا بمقارنة الجهلا وتبصر العواقب يؤمن
المعاطب واتقا الشنعة ينشر السمعة وقبح الجفا
ينافي الوفا وجوهر الاحرار عند الاسرار ثم قال هذه
مائة لفظة تحتوي على الف ادب وعظة فمن شافهها هذا

المساق فلا مرأ ولا اشفاق ومن رام عكس قالبها وان يردها
على عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار وجوهر الوفاء
ثبات في الجفاء وفتح السمعة بنشر الشنعة تم على هذا المنهج
فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة
دررها ورب الإحسان صنيعة الإنسان قال
الراوي فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة
علمنا كيف يتفاضل الإنشا وأن الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله
فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له
كن بابن على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال
أما هو على نحولي وتحولي وتقشف محولي فاختلف في تثريبه
على تشريفه وتغريبه فجولوا واسترجع ثم انشد من
قلب موجع

سل الزمان علي عضبه ليروعني واحد غربه
واستل من جفني كراه مراغما واسال غربه
واجالني في الافق أطوي شرقه واجوب غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر برديه ونحن بين متلفت إليه
ومتهافت عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبا وتفرقنا
أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحرث بن همام قال قفلت ذات مرة من
الشام أنحو مدينة السلم في ركب من بني نمير ورفقة
أولي خير ومير ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان
وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان

في البيان فصادف نزولنا بسنجار أن أولم بها أحد التجار
فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلا حتى
سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة
والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من
أطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاما
كأنما جمد من الهوا أو جمع من الهبا أو صيغ من نور الفضا
أو قشر من الدرة البيضا وقد أودع لطايف النعيم وضمخ
بالطيب العميم وسيق إليه شرب من تسنيم وسفر عن مرأى
وسيم وأرج نسيم فلما اضطرمت لمخبره الشهوات وقرمت
إلى مخبره اللهوات وشارفت أن تشن على سربه الغارات
ونبادي عند نهبه بالثارات نشز أبو زيد كالمجنون
وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على أن
يعود وألا يكون كقدار في ثمود فقال والذي ينشر

الأموات من الرجام لا عدت دون رفع الجام فلم نجد
بدا من تألفه وإبرار حلفه فأشلناه والعقول معه شايله
والدموع عليه سايله فلما فاء إلى مجثمه وخلص من مأثمه
سألناه لم فام ولأي معنى استرفع الجام فقال إن الزجاج
نمام وإني آليت منذ أعوام ألا يضمني وإياه مقام فقلنا
وما سبب يمينك الصري وأليتك الحرجي فقال كان
لي جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد يستنقع
وخبؤه سم منقع تملت لمجاوزته إلى مجاورته واغتررت
بمكاشرته في معاشرته واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته
وأغرتني خدعة سمته بمناسمته فمازجته وعندي أنه
جار مكاشر فبان أنه عقاب كاسر وآنسته على أنه
حب مؤانس فظهر أنه حباب موالس وملحته ولا أعلم أنه
عند نقده ممن يفرح بفقده وعاقرته ولم أدر أنه بعد

فيه ممن يطرب لمغزه وكانت عندي جارية لا توجد لها
في الكمال إن سفرت خجل النيران وسلبت القلوب بالنيران
وإن بسمت أزرت بالجمان وبيع المرجان بالمجان وإن رنت
هيجت البلابل وحققت سحر بابل وإن نطقت عقلت لب
العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وإن قرأت شفت المفؤود
وأحيت الموءود وخلتها أوتيت من مزامير آل داود وإن
غنت ظل معبد لها عبدا وقيل سحقا لإسحاق وبعدا وإن
زفنت أضحى زنام عندها يتيما بعد أن كان بحبله زعيما
وبالأطراب زعيما وإن رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس
وأنستك رقص الحبب في الكؤوس وكنت أزدري معها
حمر النعم وأجلي بتمليها جيد النعم وأحجب مرآها عن الشمس
والقمر وأذود ذكراها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك الجحد
من أن تشتري برياها نخ أو يجفن بها سطيح أو ينم عليها

برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس ونكد الطالع
المنحوس أن أنطقتني بوصفها حميا المدام عند الجار النمام
ثم ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فأحسست الخبال والوبال
وضيعة ما أودع ذلك الوبال بيد أني عاهدته على
علم ما الفطنة وأن يحفظ السر ولو أحفظته فزعم أنه
يخزن الأسرار كما يخزن اللئيم الدينار وأنه لا يهتك الأستار
ولو عرض لأن يلج النار فما غبر على ذلك الزمان إلا يوم
أو يومان حتى بدا الأمير تلك المدة والبهادي المقدة
أن يقصد باب قبلة مجددا عرض خيله ومستمطرا عارض
شبله وأن نادى أن تصحبه تحفة تلائم هواه ليفقد مها بين
يدي نجواه وجعل يبذل الجعائل لرواده ويشيء المراغب
لمن يظفره بمراده فاستشف ذلك الجار الختار إلى بذوله
وعصى في أدراع العار عذل عذوله فأتى الوالي ناشرا

أدنيه وأبثه ما أسررته إليه فما راعني إلا انسياب
صاغيته إلي وانثيال حفدته على يسومني إثابته بالدّه
النميمة على أن أنمّ عليه في القيمة فغشيني من الهم ما غشي
فرعون وجنوده من اليم ولم أزل أدافع عنها ولا ينفعني
الدفاع وأستشفع إليه ولا يجدي الاستشفاع وكلما
رأى مني ازدياد الإغماض وازدياد المناص تجرّم وتضرّم
وحرق عليّ الأرّم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقته بذري
وبأن أنزع قلبي من صدري حتى آل الوعيد إيقاعا والتقريع
إيجاعا فقادني الإشفاق من الجبن إلى أن قضيته سواد
العين ولم يخل الواشي بغير الإثم والشين فعاهدت الله تعالى
منذ ذلك العهد ألا أحاضر نمّاما من بعد والتجأ مخصوصا
بهذه الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة فقد
جرى عليه سيل يميني ولذلكم السبب لم تمتد إليه يميني

وقد لكن هكذا وجد بخط المصنف

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على أن حرمتموني اقتطاف
فقد بان عذري في صنيعي وإنني سأرتق فتقي من تلبيدي
على أن ما زوّدتكم من فكاهة الذم الحلوي لدى كل
قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا
عذاره وقلنا له قدما وقذف النميمة خير البشر عن حمالة
الحطب ما انتشر ثم سألناه عمّا أحدث جاره القتّات
ودخلة المقتات بعد أن ناشر له شبل السعاية وجذم
حبل الرعاية فقال أخذ في الاستخذاء والاستكانة
والاستشفاع بذوي المكانة ولتحرّج على نفسي
أن يسترجعه أنسي أو يرجع إلى أمسي فلم يكن له مني سوى
الرد والإصرار على الصد وهو لا ينثني من البخه ولا ينثني
يتأثب من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح في
المسائل فما أنقذني من إبرامه ولا أبعد عليه نبلك

مرامه الا ابيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر
المبتور فانها كانت مدحرة للشيطان ومسجنة له في
اوطانه وعند انشادها بت طلاق الحبور ودعا بالويل
والثبور وأيس من نشر وصلي المقبور كما يئس الكفار
من اصحاب القبور فناشدناه ان ينشدنا اياها ويشفنا
رياها فقال اجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لا
يزويه خجل ولا يثنيه وجل

وندیم محضته صدق ودي اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال حين لقيته صديدا حميما
خلته قبل ان تجرب الفا ذا ذمام فبان خلفا ذميما
وتخيرته كليما فامسى منه قلبي بما جناه كليما
وظننته معينا رحيما فتبينته لعينا رجيما
وتراءيته مريدا فجلى عنه سبلي له مريدا اثيما

وتوسمت ان تهب نسيما فابى ان تهب الا سموما
بت من لسعه الذي اعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا وخصيما
قلت لما بلوته لينه كان عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم الى قلبي لان الصباح يلفي نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى رفيقا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصدق اثاما فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه
واستملح تقريظه وسجعه بوأه مهاد كرامته وصدره
على تكرمته ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلوا
القند والضرب وقال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة ولا يسع ان تجعل البري كالبري الظنة وهذه

من الاجلاء كان الغر

الآنية تنزّل منزلة الأبرار في صون الأسرار فلا تؤهّلها
للإبعاد ولا تلحق هوداً بعاد ثم أمر خادمه بنقلها إلى
مثواه ليحكم فيها بهواه فأقبل علينا أبو زيد وقال اقرؤوا
سورة الفتح وأبشروا باندمال القرح فقد جبر الله كلمكم
وسنّى أكلكم وجمع في ظل الحلوا شملكم وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ولما هممنا بالانصراف مال إلى
استشهاد الصحاف فقال للأديب إن من دلايل الظرف سماحة
المهدي بالظرف فقال كليهما والغلام فاحذف الكلام
وانهض بسلام فوثب في الجواب وشدّه شدّ الروض للسحاب
ثم اقتادنا أبو زيد إلى جوابه وحكّمنا في حلوائه وجعل
يقلب الأواني بيده وينفض عددها على عدده ثم قال
لست أدري أأشكو ذلك التمام أم أشكر وهل أتناسى
فعلته أم أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريمة وغنّم

التميمة فمن غنيمة أهلّت هذه البديمة وبسيفه انحازت
إلى هذه الغنيمة وقد خطر ببالي أن أرجع إلى أشبالي
وأقنع بما تنشّني لي ولا أتعب نفسي ولا أجمالي وأنا أودّعكم
وداع محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على
راحلته راجعاً في حافرته ولاوياً إلى زافرته فغادرنا
بعد أن وخدت عنسه وزايلنا أنسه كمن غاب
صبيره أو لبل أفل بدره

المقامة التاسعة عشرة

روى الحارث بن همام قال أمحل العراق ذات العوم
لاختلاف أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وهنيّة
أهلها المخصبين فاقتعدت مهرياً واعتقلت سمهرياً
وسرت تلفظني أرض إلى أرض ويجذبني رفع من خفض حتى
بلغتها نقضاً على نقض فلما ألقيت بمغناها الخصيب

وضربت في مرعاها بنصيب ونويت ان الفي بها جراني
واتخذ اهلها جيراني الى ان تجلي السنة الجماد ويتعهد
ارض قومي العهاد فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت
ليلتي عن يومها او الفيت ابا زيد السروجي يجول في ارجاء
نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين وهو ينثر
من فيه الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت جهادي
قد جاء مغنما وقدحي الفذ قد صار توأما ولم ازل اتبع
ظله اينما انبعث والتقط لفظه كلما نفث الى ان عراه
مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب
المحيا ويسلمه الى ابي يحيى فوجدت لفوت لقياه
وانقطاع سقياه ما يجد المبعد عن مرامه والمرضع عند
فطامه ثم ارجف بان رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد
علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين وانثالوا الى عقوته

موجفين
حيارى يميدهم شجوهم كانهم ارادوا ان تضعوا الخندريسا
اسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا
يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا
قال الراوي وكنت فيمن التف باصحابه واغتدى
الى بابه فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستنشاء
انبائه برز الينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعنا طلع
الشيخ في شكاته ولكنه في حركاته فقال قد كان في
قبضة المرضة وعركة الوعكة الى ان شفه الدنف
واستشفه التلف ثم من الله بتقوية ذمائه فافاق
من اغمائه فارجعوا ادراجكم وانضوا انزعاجكم فكان
قد غدا وراح وشافهكم الراح فاعظمنا بشراه وافرحنا
ان نراه فدخل موذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه لقى

ولما أن طلقنا وجلسنا محدقين ببشره محدقين إلى أساريره
فقلب طرفه في الجماعة ثم قال اجتلوها ابنة الساعة
وأنشد

عافاني الله وشكرًا له … من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه … لا بد من حتف سيبريني
إن حم لم يغن حميم ولا … حمي كليب منه يحميني
وما أبالي إذ نأى يومه … أم أخر الحين إلى حين
فأي فخر في حياة أرى … فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل
ثم تداعينا إلى القيام لاتقاء الإبرام فقال كلا لا يبل البشوا
بياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فإن
مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس أنسي فجرينا مع مرضاته
ونجا منا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي

زبده إلى أن حان وقت المقيل وكلت الألسن من القال
والقيل وكان يومًا حاميًا الوديقة بانع الحديقة فقال
إن النعاس قد أمال الأعناق وراود الآماق وهو خصم لد
وخطب لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه
بالآثار المنقولة قال الراوي فاتبعنا ما قال
وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وأفرغ السنة في
الأجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود
عن السجود فما استيقظنا إلا والحر قد باخ والبوم قد
شاخ فكر عنا الصلوة العجماوين وأدينا ما حل من الدين
ثم تحثحثنا للارتحال إلى ملتقى الرحال فالتفت أبو زيد
إلى شبله وكان على شاكلته وشكله وقال إني لإخال
أبا عمرة قد أضرم في أحشائهم الجمرة فاستدع أبا جامع فإنه
بشرى كل جائع وأردفه بأبي نعيم الصابر على كل ضيم

ثم عزز بأبي حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين
إحراق وتعذيب وأهب بأبي ثقيف فحبذا هو من اليف
وهلم بأبي عون فما مثله من عون ولو استحضرت أبا
جميل الجمل أي بجميل وحي هلا بأم القرى المذكرة بكسرى
ولا تتناس أم جابر فكم لها من ذاكر وناد أم الفرج
ثم افتك بها ولا حرج واختم بأبي رزين فهو مسلاة كل
حزين وان تقرن به أبا العلا تمح اسمك من البخلا وأبالك
واستندنا المرجفين قبل استقلال حمول البين واذ انزع
القوم عن المراش وصافحوا أبا إيناس فأطف عليهم أبا
السرو فإنه عنوان السرور فقال فقفه ابنه لطايف
رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات والطيب
الى أن آذنت الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على التوديع قلنا
له ألم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا ضحيه قمطريرا

ومنبه مستنيرا فتنحنح حتى أطال ثم رفع رأسه وقال

لا تيأسن عند النوب من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تنشا فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى وعلى تقيته غرب
فاصبر إذا ما ناب روع فالزمان أبو العجب
وترج من روح الاله لطايفا لا تحتسب

قال فاستملينا أبياته الغر وأولينا الله تعالى
الشكر وودعناه مسرورين بسريه مغمورين بره ۞

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من ألفاظ لغوية وبني طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم

ومثله ذات الرميين والسمهرية الرماح وفي تسميتها
بذلك قولان احدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم
اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج
ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما
وقوله فضرب الله على الاذان اي انامها ومنه
قوله عز وجل فضربنا على آذانهم اي انمناهم وقيل في تفسيره
منعناهم السمع وقوله تدعنا الصلوة العجماوين
اي غسلنا الكارعا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان
صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراة فيهما
ومنه الحديث صلوة النهار عجما وقوله هلم اي قل
له هلم وهي تاتي بمعنى هات وبمعنى اقبل والافصح ان يوحد
لفظها مع المذكر والمونث والاثنين والجمع وبه نطق
القران في قوله تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا ومن

العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع
هلموا وللمونث الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وللجمع هلممن
وقوله حي هلا اي عجل يقال حي هل بفلان بتسكين
اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول
ابن مسعود في عمر رضي الله عنهما اذا ذكر الصالحون
فحي هلا بعمر وفي حي هل لغات اضربنا عن ذكرها اذ
ليس هذا موضع استيفا شرحها فهذا تفسير الالفاظ
اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات
الصوفية فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع
ويكنى ايضا ابا مالك وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز
الحواري وابو حبيب الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون
الملح وابو جميل البقل وام القرى الشكباج وام جابر
الهريسة وام الفرج الجوذابة وابو رزين الخبيص وابو العلا

القالود وأبو باس الغسول والمرجفان الطبيث

والإبريق وأبو السرو والبخور ۝

المقامة العشرون الفارقية

حكى الحارث بن همام قال يممتُ ميافارقين مع رفقةٍ موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة فكنتُ بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن أهله وجاره فلما ألقينا بها مطايا التسيار وانتقلنا عن الأكوار إلى الأوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا نادياً نعتمره طرفي النهار ونتهادى فيه طُرف الأخبار فبينا نحن في بعض الأيام وقد انتظمنا في سلك الالتئام وقف علينا ذو مقولٍ جرّي وجرسٍ جهوري فحيّا تحية نفّاث في العقد قنّاص للأُسْد والنقد ثم قال ۝

عندي يا قوم حديث عجب فيه اعتبار للبيب الأريب

رأيت في ريعان عمري أخا بأس له حدّ الحسام القضيب

يقدم في المعرك إقدام من يوقن بالقتل ولا يستريب

فيفرج الضيق بكرّاته حتى يرى ما كان ضنكاً رحيب

ما بارز الأقران إلا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب

ولا سما يفتح مستصعباً مستغلق الباب منيعاً مهيب

إلا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب

هذا وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب القشيب

يرتشف الغيد ويرشفنه وهو لدى الكل المفدّى الحبيب

فلم يزل يبتزه دهره ما فيه من بطش وعود صليب

حتى أصارته الليالي لقى يعافه من كان منه قريب

قد أعجز الراقي تحليل ما به من الداء وأعيا الطبيب

وصادم البيض وصار منه من بعد ما كان المجاب المجيب

وأَصْدا المنكوسُ في خلقِهِ ومن يعشْ يلقَ دواهي المشيب
وها هو اليوم مُستجْدٍ فمن يرغبْ في تكفينِ ميتٍ غريب
ثم إنه أعلن بالنحيب وبكا بكا المحب على الحبيب ولما
رفأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا جمعة الرواد وقدوة
الأجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم الا عن
عيان ولو كان في عصاي شق ولعيني مطر لا استنبت
بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن
كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح
قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون
ويتخافتون فيما يأتون فتوهم أنهم على صرفه مجمعون أو
مطالبته ببرهان ففرط منه أن قال يا بلاقع القلاع
وبراقع البقاع ما هذا الارتياب الذي يأباه الحياء جني
كانّكم كُلِّفتم مشقة لا شفقة أو استوهبتم بلدة لا

بردة أو هزّتهم الكسوة البيت لا لتكفين ميت أف
لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت
الجماعة بدلافته ومرارة مذاقته زفاه كل منهم بنيله
واحتمل طلّه خوف سيله قال الحارث بن همام
وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري
عن طرفي فلما أرضاه القوم بسببهم وحق على التأسي
بهم خلجت خاتمي من خنصري ولفت اليه بصري فإذا هو
شيخنا السروجي بلا فريه ولا مريه فأيقنت أنها
أكذوبة نكثها وأحبولة نصبها إلا أني طويته على
غرّه وصنت شعاعه عن قرّه فحسبته بالخاتم وقلت أوصله
لنفقة المأتم فقال لواها لك فما أضرم شغلك وأكرم
فعلك ثم انطلق يسعى قدما ويلهو ولبثه قدما فرعن
الى عرفان منته وامتحان دعوى جنته فنفر عن ظنوني

والهبت الهوى حتى أدركته على غلوة واجتليته في
خلوة فأخذت بمجامع أردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت
والله ما لك مني ملجأ ولا منجا أو تريني منبت المسبحي فكشف
عن سراويله وأشار إلى غرموله فقلت له قاتلك الله فما
العبك بالنهى وأحيلك على اللهى ثم عدت إلى أصحابي
عود الرائد الذي لا يكذب أهله ولا يبرقش قوله
فأخبرتهم بالذي رأيت وما وريت ولا أبنت ففهموا من
كنت وكنيت ولعنوا ذلك المنبت

المقامة الحادية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عنيت مذ أحكمت
تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بأن أصغي إلى العظات وأبغي
الكلم المحفظات لأتحلى بمحاسن الأخلاق وأتخلى مما
يسم بالإخلاق وما زلت آخذ نفسي بهذا الأدب وأحمد

به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف
له هوى مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي
وعرفت الحي من اللي رأيت بها ذات بكرة زمرا إثر زمرة
وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان
الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن
سمعون دونه فلم يتكادني لاستماع المواعظ واختبار
الواعظ أن أفاشي اللاغط وأحتمل الضاغط فأصحبت
أصحاب المطواعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى
أفضينا إلى ناد جمع الأمير والمأمور وحشد النبيه
والمغمور وفي وسط هالته ووسط أهلته شيخ قد
تقوس وافرنقس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ
يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت
به العقول ابن آدم ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك

والهجك بما يطغيك واهجك بمن يطريك تعني بما يعنيك
وتهمل ما يعنيك وتنزع في قوس تعديك وتتردى الحرص
الذي يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا
للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دابك ان تنقلب مع
الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمك ان تدأب في الاحراث
وتجمع التراث للوراث تعجبك التكاثر بما لديك ولا
تذكر ما بين يديك وتسعى ابدا لغاديك ولا تبالي الك
الكلام عليك اتظن ان ستترك سدى ولا تحاسب غدا
ام تحسب ان الموت يقبل الرشى او يميز بين الاسد والرشا
كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع اهل
القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق
ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم

أنشد انشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما يغني المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه بمخلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يذرفونها وتوبة
يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما

خشعت الأصوات والتأم الانصات واستكنت العبرات
والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل
نجارا اليه من عامله الجائر والأمير صاغ الى خصمه لانه
عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ
لنصحه فنهض نهضة الشمير وانشد معرضا بالأمير

عجبا لراج ان ينال ولاية حتى اذا ما نالها بغيه بغى
يسدي ويلحم في المظالم والعا في زردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى فيها أأصلح دينه ام اوتغا
او انجه لو كان يوقن انه ما حاله الا كحول لما طغى
او لو تبين ما ندامة من صغى سمعا الى افك الوشاة لما صغى
فانقذ لمن اضحى الزمام بكفه وتغاض ان لغي الرعاية او لغا
وارع المرار اذا دعا الرعية وردا الاجاج اذا حاك السبغا
واحمل اذاه ولو امض مسه واسا الغرب الدمع منك وافرغا
فليضحين كيل الدهر منه اذا نبا عنه وشب لكيده نار الوغى
ولينزلن به الشمات اذا بدا متخليا من شغله متفرغا
ولتاوين له اذا ما اخذه اضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقف موقفا فيه يرى رب الفصاحة ألثغا
ويحشر اذل من فقع الفلا ويحاسبن على النقيضة والشغا
ويواخذن بما اجتنى ومن اجتنى ويطالبن بما اجتنى وبما ابتغى
ويناقشن على القيا ومثل ما قد كان يفعل بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يبغ منها ما بغى

ثم قال ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية
دع الادلال بدولتك والاعتزاز بصولتك فان الدولة
ريح قلب والقدية بر خلب وان اسعد الرعاة من
سعدت به رعيته واشقاهم في الدارين من شقيت رعيته
فلا تك ممن بذر الآخرة وبلغيها ونحب العاجلة وتبغيها

ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل الانسان بل سيوضع
لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع
لونه وانتقع وجعل يتأفف من الامر ويردف الزفرة بالزفرة
ثم عمد الى الشاكي فاشكاه والى المشكو فاشجاه والطف
الواعظ وحياه وعزم عليه ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم
منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته
ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته اخطو منقاصا لهوانه
لمحا باصرا فلما استشف ما اخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه
قال خير دليليك من ارشد ثم اقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث ... حدث ملوك فكه منافث
اطرب ما لا تطرب المثالث ... طورا اخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث ... ولا انحنى عودي خطب كارث

ولا فري نابي حد فارث ... بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل سرح فيه ذئبي عائث ... حتى كاني للانام وارث
شامهم وجامهم وباقث

قال الحرث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد
ولقد قمت لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم
اذا ام وقال اسمع يا ابن ام
عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد
ثم انه ودع اخدانه وانطلق يسحب اردانه فطلبناه من بعد
بالري واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف
قراره ولا دري اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حدثي الحرث بن همام قال اويت في بعض الفترات

الى شفى الفرات فلقيت بها كتّابا ابرع من بني الفرات
واعذب اخلاقا من الما الفرات فاطفت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم
وكاثرتهم لادبهم لا لمآدبهم فجالست منهم اضراب القعقاع
ابن شور ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم اشركوني
في المرتع والمربع واحلوني محل الانملة من الاصبع واتخذوني ابن
انسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل
فاتفق ان ندبوا في بعض الاوقات لاستقرا مزارع الرزداقات
فاختاروا من الجواري المنشيات جارية حالكة الشيات تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب في الحباب كالحباب
ثم دعوني الى الموافقة واستدعوني للمرافقة فلما
توركنا على المطية الدهما وثبطنا الولية الماشية على
الما الفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسب بال فعافت
الجماعة محضره وعنفت من احضره وهمت بابرازه من

السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة فلما لججنا
استثقال ظله واستبراد طله تعرض للمنافثة فصمت
وحمل بعد ان عطس فما شمت فاخذ ينظر فيما آلت
حاله اليه وينتظر نصرة المبغي عليه وجلنا نحن في شجون
من جد ومجون الى ان اعترض ذكر الكاتبين وفضلهما
وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشا انبل
الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب واشتد الضجاج
واحتد الحجاج وامتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال مطرح
ولا للمرا مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم
اللغط واثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندي
فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا احدا بعدي اعلموا ان
صناعة الانشا ارفع وصناعة الحساب انفع وقلم
المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب واساطير

البلاغات تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ
فتدرس والمنشي جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجي
العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس
الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير
والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك
النواصي ويقتاد العاصي ويستدني القاصي وصاحبه بري
من التبعات امن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير
معرض لنظم الجماعات فلما انتهى في الفضل الى هذا الفصل
لحظ من لحظات القوم انه ازدرع حبا وبغضا وارضى بعضا
واحفظ بعضا فعقب كلامه بان قال الا ان صناعة
الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على
التلفيق قلم الحاسب ضابط وقلم المنشي خابط وبين
اتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون

لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ
الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج يغني
الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم ان الحسبة
حفظة الاموال وحملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة
الثقات واعلام الانصاف والانتصاف والشهود
المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان
وقطب الديوان وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال
واليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج
وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء والمنع
ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولاتصل
التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا
وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف
التظالم مسلولا على ان يراع الانشاء متقول ويراع الحساب

الاكتساب

مثاقيل والمحاسب مناقش والمنشئ ابو براقش ولكليهما
حمة حين يرقى الى ان يلقى والعنات فيما ينشي حتى يغشى
ويرشى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم

قال الحرث بن همام فلما امتع الاسماع بما راق
وراع استنسبناه فاستراب وابى الانتساب ولو جد
منتسبا بالانساب فحصلت من لبسه على غمة حتى اذّنت
بعدائه فقلت والذي سخر الفلك الدوّار والفلك
السيار انى لأجد نشر ابي زيد وان كنت اعهده ذا رواء
وابد فتبسم ضاحكا من قولي وقال انا هو على استحالة
حالي وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفري فريه
ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد
فرغب عن الالفة ولم يرغب في التحفة وقال اما بعد
ان سخفتم خفّي وكسفتم بالي لاخلاق سربالي فما اراكم

الا بالعين السخينة ولا الكم مني الا صحبة السفينة ثم
انشد

اسمع أخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان تر ما يشين فواره كرما وان ترما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بان التبر في عرق الثرى خاف الى ان يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم اخي طمر هب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغشَ عارًا لم تكن أسمالُه إلا مراقي عرشه

ما إن يضرّ العضبَ كونُ قرابه خلَقًا ولا البازي حقارةُ عشّه

ثم ما غشتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كلٌّ منّا على ما فرّط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصًا لرثاثة بردِه وأن لا نزدري سيفًا مخبوًّا في غمده

المقامة الثالثة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألفُ الوطن في شرخ الزمن لخطبٍ خُشي وخوفٍ غُشي فأرّقت كأس الكرى ونصصت ركاب السُّرى وجُبتُ في سيري وعورًا لم تدمّثها الخطى ولا اهتدت إليها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فكرعت من إنجاس الروع واستشعاره وتسربلت لباس الأمن وشعاره وقصرت

همّي على لذةٍ أجتنيها وملحةٍ أجتليها فبرزتُ يومًا إلى الحريم لأروّض طرفي وأُجيل في طرفه طرفي فإذا فرسانٌ متتالون ورجالٌ متتالون وشيخٌ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبّب فتىً جديد الشباب خلَق الجلباب فركضتُ إثر النظّارة حتى وافينا باب الإمارة وهناك صاحب المعونة متربّعًا في دسته ومرعيًّا بسمته فقال له الشيخ أعزّ الله الوالي وجعل كعبه العالي إني كفلت هذا الغلام فطيمًا وربّيته يتيمًا ثم لم آلُه تعليمًا فلما مهر وبهر جرّد سيف العدوان وشهره ولم أخله يلتوي عليّ ويشتجّ حتى يرتوي مني وينتجّ فقال له الغلام علامَ عثرتَ مني حتى تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترتُ وجه برّك ولا هتكتُ حجاب سترك ولا شققتُ عصا أمرك ولا ألغيتُ تلاوة شكرك

فقال له الشيخ ويلك وأي ذنب أخزى من ذنبك
وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته
وانتحلت شعري واسترقته واسترقاق الشعر عند الشعراء
أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات
الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار فقال الوالي للشيخ
وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ فقال والذي جعل
الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب ما احتذى سوى أن
بتر شمل شرحه وأغار على ثلثي سرحه فقال له انشد أبياتك
برمتها ليتضح ما احتازه من جملتها فأنشد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غدا بعدا لها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينتقع ... منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها ... لا يفتدى بجلائل الأخطار

كم مزدهى بغرورها حتى بدا ... متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت ... فيه المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا ... فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها ... تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها ... حرب العدى ووثوبة الغدار
واعلم بأن خطوبها تفجا ولو ... طال المدى ووني سرى الأقدار

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال أقدم
للؤمه في الجزء على أبياتي الستة الأجزاء فحذف منها
جزوين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الرزء فيها رزئين
فقال بين ما أخذ ومن أين فلذ فقال أرعني سمعك وأخل
للتفهم عني ذرعك حتى تبين كيف أصلت علي ونقدر
قدر اجترامه إلي ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى

دارٌ متى ما أضحكتْ في يومها أبكتْ غدا

وإذا أظلّ سحابُها لم ينتقعْ منهُ صدى

غاراتُها ما تنقضي وأسيرُها لا يُفتدى

كم مُزدهًى بغرورها حتّى بدا متمرّدا

قلبتْ لهُ ظهرَ المِجنّ وأولغتْ فيه المُدى

فاربأ بعمرك أن يمرّ مضيّعًا فيها سُدى

واقطعْ علائقَ حبّها وطِلابها تلقَ الهُدى

وارقبْ إذا ما سالمتْ من كيدها حربَ العِدى

واعلمْ بأنّ خطوبَها تفجا ولو طال المَدى

فالتفتَ الوالي إلى الغلام وقال تبًّا لكَ من خرّيجٍ مارقٍ وتلميذٍ سارقٍ فقال الفتى برئتُ من الأدب وبنيهِ والجحفتُ بمن يناويهِ وتقوّضَ مبانيهِ إنْ كانتْ أبياتهُ نُميتْ إلى علمي قبلَ أنْ أُلّفتْ نظمي وإنّما اتّفقَ توارُدُ الخواطرِ كما قد يقعُ

٦٢

الحافرُ على الحافرِ فكأنّ الوالي جوّزَ صدقَهُ وزعمَهُ فندمَ على بادرةِ ذمّهِ وظلّ يفكّرُ فيما يكشفُ لهُ عن الحقائقِ ويميّزُ بين الفائقِ والمائقِ فلم يرَ إلّا أخذَهما بالمناضلةِ ولزَّهما في قرنِ المساجلةِ فقال لهما إنْ أردتُما افتضاحَ العاطلِ واتّضاحَ الحقّ من الباطلِ فتراسلا في النظمِ وتباريا وتجاولا في حلبةِ الإجازةِ وتجاريا ليهلكَ من هلكَ عن بيّنةٍ ويحيى من حيَّ عن بيّنةٍ فقالا لهُ بلسانٍ واحدٍ وجوابٍ متواردٍ قد رضينا بسبرِ فهمِنا بأمرِكَ فقال إنّي مولعٌ من أنواعِ البلاغةِ بالتجنيسِ وأراهُ لها كالرئيسِ فانظما الآن عشرةَ أبياتٍ تُلحمانِها بوشيهِ وتُرصّعانِها بحليهِ وضمّناها شرحَ حالي مع إلفٍ لي بديعِ الصفةِ ألمى الشفةِ مليحِ التثنّي كثيرِ التجنّي مُغرًى بتناسي العهدِ وإطالةِ الصدِّ وإخلافِ الوعدِ وأنا لهُ كالعبدِ قال فبرزَ الشيخُ مُجلّيًا وتلاهُ الفتى مُصلّيًا وتجاريا

بينا همّتنا على هذا التشوّق إلى أن كمل نظم الأبيات والتشوّق وهي

وأحوى حوى رِقّي برِقّة لفظه وغادرني إلفَ السهاد بغدره

تصدّى لقتلي بالصدود وإنني لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

أصدّق منه الزور خوف ازوراره وأرضى استماع الهجر خشية هجره

وأستعذب التعذيب منه وكلما أجدّ عذابي جدّ لي حبّ برّه

تناسى ذمامي والتناسي مذمّة وأحفظ قلبي وهو حافظ سرّه

وأعجب ما فيه التباهي بعُجبه وأكبره عن أن أفوه بكبره

له منّي المدح الذي طاب نشره ولي منه طيّ الودّ من بعد نشره

ولو كان عدلاً ما تجنّى وقد جنى عليّ وعزّي يجتني رشف ثغره

ولولا تثنّيه ثنيت أعنّتي بدارًا إلى من أجتلي نور بدره

وإنّي على تصريف أمري وأمره أرى المرّ حلوًا في انقيادي لأمره

فلمّا أنشدها الوالي من استلين بهت لذكائهما

المتعادلين وقال أشهد بالله إنكما فرقدا سماء أو كزندين في

الفتى

وعاوان هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجده

عمّن سواه فتنبّه الشيخ من إتهامه ووثب إلى إكرامه

فقال الشيخ هيهات أن تراجعه من فيّ أو تعلق به

ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق

الشنيع فاعترضه الفتى وقال يا هذا إنّ اللجاج شؤم والحنق

لؤم وتحقيق الظنّة إثم وإعنات البريء ظلم وهبني اقترفت جريرة

أو اجترحت كبيرة أما تذكر ما استنشدتني لنفسك في إبّان أنسك

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط

وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يومًا أو قسط

واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيعة أم غمط

وأطعه إن عاصى وهن إن عزّ وادن إذا شحط

واقن الوفاء ولو أخلّ بما اشترطت وما شرط

واعلم بأنك إن طلبت مهذّبًا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب والمكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط
ولذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال والذي زين السما بالشهب وأنزل الماء من السحب ما وعى عن الاصطلاح إلا لتوقي الافتضاح فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأرعى شؤونه وقد كان الدهر سمح فلم أكن أشح فأما الآن فالوقت عبوس وحشو العيش بوس حتى إن يدي هذه غارة وبيتي لا تطور به فارة قال فرق لمقالهما قلب الوالي وأوى لهما من غير الليالي وصبا إلى اختصاصهما بالإسعاف وأمر النظارة بالانصراف

قال الراوي وكنت متشوفا إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه إذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلما تقوض الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه وكدت أنقض عليه لأشعره أنبه فزجرني بإيماض طرفه واستوقفني بإيماء كفه فلزمت موقفي وأخرت منصرفي فقال الوالي ما مرامك ولأي ما سبب مقامك فابتدره الشيخ وقال إنه أنيسي وصاحب ملبوسي فتسمح حينئذ بتأنيسي ورخص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف إلى إظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه متشدين بشكر أياديه وتبعتهما لأعرف مثواهما وأتزود من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالي وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزته مهشا بي

الى حجرته فقلت لابي زيد ما اظنه استحضرني الا ليستجيزني
فماذا اقول وفي اي وادٍ معه اجول فقال بيّن له غباوة
قلبه وتلعابي بلبه ليعلم ان زنده لاقى اعصارا وجدوله
صادف تيارا فقلت اخاف ان يتقد غضبه فيلفحني لهبه
او تستشري سطوته فيسري اليّ بطشه فقال اني ارحل
من ساعتي الى الرها واين يلتقي سهيل والسها فلما حضرت
الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه اخذ يصف ابا زيد
وفضله ويذم الدهر له ثم قال ناشدتك الله الست
الذي اعان الدست بل انت الذي تم عليه الدست فازورّت
مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله ما اعجزني قط
فصيح مريب ولا استفزني معيب ولكن ما سمعت بأن شخصا
دلّس بعد ما تلبّس فبهذا تمّ له ان ليس افتدري اين سلع
ذلك اللكع فقلت اشفق منك لبعيد طوره فقطعن غير

بُعد اذن من فوره فقال لا قرّب الله له نوى ولا كلاه
اين ثوى فما رأيت اشدّ من نكره ولا ذقت امرّ من مكره
ولولا حرمة ادبه لاوغلت في طلبه الى ان يقع فاوقع به
واني لاكره ان تشيع فعلته بمدينة السلام فافتضح بين
الانام وتحبط مكانتي عند الامام واصير ضحكة الخاص والعام
فعاهدني على ان لا انفوه بما اعتمد ما دمت حلا بهذا البلد
قال الحرث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتأول
ووفيت له كما وفى السموأل

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع
في ابان الربيع فتية وجوههم ابلج من انواره واخلاقهم ابهج
من ازهاره والفاظهم ارق من نسيم اسحاره فاجتليت منهم
ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر وكنا

تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وان لا
ينفرد احدنا بالتذاذ ولا يستاثر ولو بقطرة رذاذ فاجمعنا
في يوم شامس دجنه ونمي حسنه وحلم بالاصطباح متنه على
ان نلهو بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر
ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور
عدة وكندماني جذيمة مودة الى حديقة اخذت زخرفها
وازينت وتنوعت ازاهيرها وتلونت ومعنا الكميت الشموس
والسقاة الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه
ويفري كل سمع ما يشتهيه فلما اطمان بنا الجلوس ودارت
علينا الكؤوس وغل علينا ذو طمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد
الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب الا انه سلم تسليم
اولي الفهم وجلس يفض لطايم النثر والنظم ونحن نتزوى
من انبساطه ونتبرى لطي بساطه الى ان غنى شادينا المغرب

ومغردنا المطرب

الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تاوين لي مما الاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها انا قد عزمت على انتصاف لساقي فيه خلى بالتساقي
فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمباني لم نصب الوصل
الاول ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بما اختاره سيبويه
فتشعبت حينئذ ارا الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت
فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طايفة لا يجوز فيهما الا
الانتصاب واستبهم على الاخرين الجواب واستعر بينهم الاصطخاب
وذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة
حتى اذا سكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم
انا انبيكم بتاويله واميز صحيح القول من عليله انه

لا يجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في الإعراب بينهما
وذلك بحسب اختلاف الإضمار والتقدير المحذوف في هذا
المضمار فقال فقد فرط من الجماعة إفراط في مماراته وانخلاط
المباراته فقال أما إذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال
فما كلمة هي إن شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب
وأي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية هاء إذا
التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين
فتعزل العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على الظرف
لا يخفضه سوى حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة
بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذي
يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأي عامل نائبه
أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا
وفي أي موضع يلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات

الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب
والضارب وما اسم لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو
الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الأول التزام وفي
الثاني إلزام وما وصف إذا أردف بالنون نقص صاحبه
في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون
فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم
ولو زدتم لزدنا وإن عدتم عدنا قال المخبر
بهذه الحكاية فوردت علينا من أحاجيه اللاتي هالت لما
انهالت ما حارت له الأفكار وحالت فلما أعجزنا العوم
في بحره واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا عن استثقال
الروية له إلى استنزال الروائع عنه وعن بغي التبرم
به إلى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزّل النحو في
الكلام منزلة الملح في الطعام لا أنلتكم مراما

ولا استقيت لكم غراماً أو تخولني كل يدٍ وتخصني دل
منكم بيد فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحجته ونبذ
إليه خباة حجته فكشف حينئذٍ من أسرار ألغازه وبدائع
إعجازه ما جلا به صدأ الأذهان وجلى مطلعه بنور البرهان
قال الراوي فتيمنا حين فهمنا وعجبنا إذ أجبنا
وندمنا على ما ندمنا وأخذنا نعتذر إليه اعتذار الأكياس
ونعرض عليه أن يصطبح الكاس فقال مأربٌ لا حفاوةٌ ومشربٌ
لم تبق له عندي حلاوة ثم شمخ بأنفه صلفاً ونأى بجانبه أنفاً
وأنشد

نهاني الشيب عما فيه أفراحي ۞ فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة ۞ وقد أنار مشيب الرأس إصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ۞ روحي بجسمي وألفاظي بإفصاح
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يدٌ ۞ ولا أجلت قداحي بين أقداح

ولا صرفت إلى صرف مشعشعةٍ ۞ همي ولا ارتحت من ناحٍ إلى راح
ولا نظمت على مشمولةٍ أبداً ۞ شملي ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على ۞ راسي فأبغض به من كاتبٍ ماح
ولاح يلحي على جري العنان إلى ۞ ملهى فسحقاً له من لائحٍ لاح
ولو لهوت وفودي شائبٌ لخبا ۞ بين المصابيح من غسانَ مصباحي
قومٌ سجاياهم توقير ضيفهم ۞ والشيب ضيفٌ له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت
أنه سراج سروج وبدر الذي تجاب البروج وكان قصارانا
التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأخير من الأغنية التي هي فإن وصلاً
ألذ به فوصل فإنه نظير قولهم المرء مجزيٌّ بعمله إن خيراً
فخير وإن شراً فشر وهذه المسألة أودعها سيبويه

كنايه وتجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو
اجودها ان تنصب خيرا الاول وترفع الثاني وتنصب
شرا الاول وترفع الثاني ويكون تقديره ان كان عمله خيرا
فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب
الاول على انه خبر كان وترفع الثاني على انه خبر مبتدا
محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة
حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما وحذفت ايضا
المبتدا لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا
ما يقع بعدها والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون
تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان
كان عمله شرا فهو يجزى شرا فتنصب الاول على انه
خبر كان وتنصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه
الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان

كان في عمله خير فجزاؤه خير فترفع خير الاول على انه
اسم كان وترفع خير الثاني على ما بين في شرح الوجه
الاول وقد يجوز ان ترفع خير الاول على انه فاعل كان
وتجعل كان المقدرة ههنا هي التامة التي تاتي بمعنى
حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو
عسرة ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فجزاؤه
خير اي ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو
اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث
وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون
التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى
حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه
يجري اعراب البيت الذي عنيه ومما ينتظم في هذا
السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان

خنجرا فخنجر وأما الكلمة التي هي حرف محجوب أو اسم لما
فيه حرف جلوب فهي نعم إن أردت بها تصديق الأخبار
أو الوعد عند السؤال فهي حرف وإن عنيت بها الإبل
فهي اسم والنعم يذكر ويؤنث ويطلق على الإبل
وعلى كل ما شبه فيها إبل وفي الإبل الحرف وهي الناقة
الضامر سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف وقيل (الضامرة)
إنها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل وأما الاسم المتردد
بين فرد جائز وجمع ملازم فهو سراويل وقال بعضهم
هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد
وحكي عن ضمة الخضر بأنه جائز وقال آخرون هو جمع
وواحده سروال مثل شملال وشماليل فهو على هذا القول
جمع ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا
النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف بعدها حرف

مشددا أو حرفان أو ثلاثة لثقله وتفرده دون غيره
من الجموع بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد وأما الهاء التي
إذا ألحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل فهي الهاء
اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة
وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند إلحاق الهاء به لأنها
أصارته إلى مثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية
فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كني في
هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كني في التي
قبلها عما لا ينصرف بالملازم وأما السين التي تعزل العامل
من غير أن تجامل فهي إذا دخلت على الفعل المستقبل فصلت (التي صح)
بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب
فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة
للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة وذلك قوله

سبحانه علم ان سيكون منكم مرضى نقدير علم انه
سيكون واما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه
سوى حرف فهو عند اذ لا تجره غير من خاصة وقول
العامة ذهبت الى عنده لحن واما المضاف الذي اخل
من غير الاضافة بغدوة واختلف حكمه بين مسيا وغدوة
فهو لدن ولدن من الاسما الملازمة للاضافة وكل ما
ياتي بعدها مجرورها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن
لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ثم نونتها ايضا ليبين
بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرورات التي لا
تنصرف وعند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح
ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها على ما
هو في ملكك وحيثك مما دنا منك وبعد عنك ولدن
يختص معناها بما حضرك وقرب منك واما العامل

الذي يتصل اخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا
ومعكوسها اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما
في الاسم المنادى سيان وان كانت يا اجول في الكلام
واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادي باي
القريب فقط كالهمزة واما العامل الذي بابه ارحب منه
واكثر واعظم مكرا واكثره الله تعالى ذكرا فهو باء القسم
وهذه الباء هي اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور
فعل القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر
في مثل قولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها في القسم
لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان
الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان
ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق
بالاقسام ولهذا الغرض بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم

إن الواو أكثر موطنا من الباء لأن الباء لا تدخل
إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم
والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتنتظم
أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها
يوجب الواو عظم المكر وأما الموطن الذي فيه يلبس
الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم
الرجال فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين
الثلثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث
بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
أيام والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك
قام قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس
في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل
منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه وأما الموضع

الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب
فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور
علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما وذلك إذا كانا
مقصورين مثل عيسى وموسى أو من أسماء الإشارة نحو
ذا وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته حينئذ صح
ليعرف الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره وأما الاسم الذي
لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على
حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي
بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل
فيها ما فزيد عليها ما أخرى كما تزاد على إن فصار
لفظهما ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد
فأبدلوا من الألف الأولى هاء فصارتا مهما ومهما من
أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام

ولا يعقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها لقولك منهما نفعل أفعل وتكون حينئذ مثلثة مما للفعل وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ممن خاطبته أن يكف وأما الوصف الذي إذا ردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف إذا ألحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في التنقيد منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون

تعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقتضيه وأرب أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وقرها البارح ما عرفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري ومستوقد ناري إلا لضرورة أدفع إليها أو إقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر إلى أن برزت من كناني لمهم عناني فإذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتم بريطة واستثفر بفوطة وحوله جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ... أصدق من عريي في أوان القر

فاعتبروا بما بدا من ضري ... باطن حالي وخفي أمري

وحاذروا انقلاب سلم الدهر ... فإنني كنت نبيه القدر

آوي إلى وفر وحد يفري ... ينقد صفري وتبيد سمري

وتشتكي كومي غداة أقري ... تجرد الدهر بسوف الغدر

وشن غارات الرزايا الغبر ... ولم يزل يجتاحني ويبري

حتى عفت داري وغاض دري ... وبار شعري في الورى وشعري

وصرت نضو فاقة وعسر ... عاري المطا أجرد من قشر

كأنني المغزل في التعرّي • لا دفء لي في الصيف والصنّبر
غرثان الضحى واصطلاء الجمر • فهل خصم ذو رداء غمر
يبشرني بمطرف أو طمر • طلاب وجه الله لا الشكر

ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء
من أوتي خيرا فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فإن
الدنيا غدّارة والدهر عثور والمكنة زورة طيف
والفرصة مزنة صيف وإني والله لطالما تلقيت الشتاء
بكافاته وأعددت الأهب له قبل موافاته وها أنا اليوم
يا سادتي ساعدي وسادي وجلدتي بردي وحفنتي
جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي
فإن السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد
حلوت علينا أدبك فاجل لنا نسبك فقال تبًا للمفتخر
بعظم نخر إنما الفخر بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه • على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما • فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محتفزا واحرنجم مستوفزا وقال
اللهم يا من غمر بنواله وأمر بسؤاله صلّ على محمد وآله
وأعنّي على البرد وأهواله وأتح لي حرّا يؤثر من خصاصة
ويواسي ولو بخصاصة قال الراوي فلمّا تجلّى
عن النفس العصامية والملح الأصمعية جعلت ملامح عيني
تتصفحه ومرامي لحظي ترجمه حتى استبنت أنه أبو زيد وأن
تعرّيه أحبولة لصيده ولمح هو أن عرفاني قد أدركه ولم
يأمن أن يهتكه فقال أقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر
أنه لن يسترني إلا من طاب خيمه وأشرب ماء المروءة أديمه
فعقلت ما عناه وإن لم يدر القوم معناه وساءني ما يعانيه
من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي

وفي الليل فراشي فانضُها عنّي وقلتُ له اقبلها منّي فما
كذب أن فرّاها وعيني تراها ثم انشد

لله من ألبسني فروةً أصبحت من الرعدة لي جُنّه
ألبسنيها واقيًا مهجتي وُقّي شرّ الإنس والجِنّه
سيكتسي اليوم ثنائي وفي غدٍ سيُكسى سندس الجنّه

قال فلمّا فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة
ألقوا عليه من الفراء المغشّاة والجباب الموشّاة ما آده
ثقله ولم يكد يقلّه فانطلق مستبشرًا بالفرج مستنفقًا
للدَّرَج وتبعته الى حيث تنعقت لقيته وبدت لي سما أنفيه
فقلت له لشدّ ما قرّسك البرد فلا تتعرّض من بعدُ فقال ويك
ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقفُ
ما ليس لك به علم فوالذي نوّر الشيبة وطيّب تربة طيبة
لو لم أتعرّ لرحت بالخيبة وصفر العيبة ثم نزع الى الفرار

ونبرّع بالاكفهرار وقال أما تعلم أن شنشنتي
الانتقال من صبير الى صبير والانعطاف من عمرو الى زيد
وأن الفقر عقفني وعقّفني وأفنى أضعاف ما أقناني
فأعفني عافاك الله من لغوك واشدد دوني باب جدلك
ولهو لحيته جذّ التلعابة وجمجمت به للدعابة
وقلت له والله لو لم أوارِ وأعطِ على عوار لما وصلت
الى صلة ولا انقلبت أكسى من بصلة فجازني عن إحساني
اليك وستري لك وعليك بأن تسمح لي ببرد الفروة أو تعرفني
كافات الشتوة فنظر الي نظر المتعجّب وازمهرّ ازمهرار
المتغضّب ثم قال أما ردّ الفروة فأبعد من ردّ أمس الدابر
والميت الغابر وأما كافات الشتوة فسبحان من طبع على
ذهنك وأوهى وعاء خزنك حتى نسيت ما أنشدتك بالأمس
لابن سكّرة

جا الشتاء وعندي من حوائجه سبع اذا القطر عن

حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكس

ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب يدفي
فاكفف بما وعيت وانكفي ففارقته وقد ذهبت فروتي
لشقوتي وحصلت على رعدة طوال شتوتي

المقامة السادسة والعشرون

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز
لابسا حلة الاعواز فلبثت فيها مدة اكابد شدة
وازجي اياما مسودة الى ان رأيت نادي المقام من عوادي
الاستفهام فرمقتها بعين القالي وفارقتها مفارقة الطلل البالي
وظعنت عن وشلها كمنشمر الازار راكضا الى المياه

الغرار حتى اذا رمت منها مرحلتين وبعدت سرى
ليلتين تراءت لي خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت
أيهما لعلي أنقع صدى أو أجد على النار هدى فلما انتهيت
الى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا
عليه برة سنية ولديه فاكهة جنية فحيته تحية ثم
خامسته فصحا الي واحسن الرد علي وقال الا تجلس
الى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست
لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما حضره فحين سفر عن ادابه
وكشر عن انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح
فلحه فتعارفنا حينئذ وخفت بي فرحتان ساعتئذ
ولم ادر بايهما انا اصفق جذلا واوفر جذلا أباسفاره من دجنة
اسفاره ام بخصب رحاله بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان
افض ختم سره واستبطن داعية بشره فقلت له من اين

أبا بك ولي ابن أنسيت به وقد امتلأت عيابك فقال
أما المقدم فمن طوس وأما المقصد فإلى السوس وأما
الجدة التي أصبتها فمن رسالة أمضيتها فسألته أن يقرأني
دخلته ويبرد على رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس
أو تصحبني إلى السوس فصاحبته إليها وهزأ وعلقت بها
عليه شهراً وهو يعللني كأساء التعليل ويجزيني أعنة التأميل
حتى إذا حرج صدري وعيل صبري قلت له إنه لم يبق لك
علة ولا بي تعلة وفي غد أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفي
حنين فقال حاش لله أن أخلفك أو أخالفك وما أرجأت
أن أحدثك إلا لتثبت وإذا كنت قد استربت بعدتي وأعلل
ظن السوء بما عدتني فاصغ لقصص سيرتي المحدثة وأضفها
إلى أخبار الفرج بعد الشدة فقلت هات فما أطول طيلك
وأهول حيلك فقال اعلم أن الدهر العبوس

ألقاني إلى طوس وأنا يومئذ فقير وقف لا قبيل لي ولا
نفير فحداني الجاني صفر اليدين إلى التطوق بالدين فادنت
لسوء الاتفاق ممن هو عسر الأخلاق وتوهمت تيسر النفاق
فتوسعت في الإنفاق فما أفقت حتى تقاضى دين لزمني
حقه ولازمني مستحقه فخرجت في أمري بعد اطلاع غريمي
على عسرتي فلم يصدق أني لا أفي ولا نزع عن إرهاقي بل جد في
التقاضي ولج في اقتيادي إلى القاضي وكلما خضعت له
بالكلام واشترطت منه رفق الإلزام ورغبت في أن ينظر
إلى ميسرة أو ينظرني إلى ميسرة قال لا تطمع في الإنظار
واحتجاز النضار فوحقك ما ترى مسالك الخلاص أو
تريني سبائك الخلاص فلما رأيت احتداد لدده وأن لا
مناص لي من يده شاغبته ثم واثبته ليرافعني إلى والي الجرائم
لا إلى الحاكم في المظالم لما كان بلغني من إفضال الوالي وفضله

ونشيد دار القاضي وخلّه فلما حضرنا باب امبرطوس انست
ان لا باس ولا بوس فاسند عنت دواة وبيضا واشا انه
رسالة رقطا او هي اخلاق سيدنا
تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونائله تلف وخلته نسب
وقطيعته نصب وغربه ذلق وشيمه تألق وظلفه زان
وقويم نهجه بان وذهنه قلب وجرب ونعته شرف وعرب
سيد قلب سبوق مبير فطن مغرب عزوف عفوف
مخلف متلف أغر شريف يناديه فاضل ذكي أنوف
مفلق ان يطب اذا ناب هياج وجا خطب مخوف
مناظم شرفه تألف وشؤبوب حبائه يكف ونائل
يديه فاض وشح قلبه غاض وخلف سخايه يحلب وذهب
عطاياه يجتنب من لف لفه فلج وغلب وتاجر بابه جلب وخلب
لفا عن هضم بري وبري من دنس غوي وقرن لبانه يعز

حادي عشره

وكذب عن مذهب كل لبس ونساب عند نهزة شر بل
يعف عفة بر
فلذا نحب ويستحق عفافه شغفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غر شرف وفوقه في وإذا ناضلته غلاب
سمح بهش وذو تلاف ان هفا خل فلبس يحفه تراب
لا باخل بل باذل غمر وإذا يعفه برز لا يليه باب
ان عض ازل فل غرب عضاضه بمنابه فأخزمته ناب
وجد يبزم أب وفطن وقب وشطن ان ذعن
لفريع نعز وجابر نعز منذ رضع ندي لبانه خص بافاضه
نهنانه نعش وفرج وضاف فأنهج ونأى فأزعج وفأنحو
أبلج أنعب من سيل وفرط اذ هز وبلي وتوج صفاته
تحب عفاته
فلا خلا ذا بهجة بمند ظل خصبه

فإنه بَرٌّ يُمِنُ أُنسُ ضوءِ شُهُبِه

زانَ مرأىً باظرفِه يَلبسُ خوفَ ربِّه

فليهزّ سيدنا فنونه بمفاخر بأثلث وجلت فنونه

بصنائع نمت ونمّت ويلائم قرب حضرته غوث رفده بحظ

من حظوته فإنه نبيل ندب وشريف جدب وعريق نوب

أشرف وناظم فلا بد يشرف إذا جاش لخطبة فلا يوجد

فأبكم ثم قس باقل فإن حبّر قلت حبر نمت وخلت رياضا

قد نمت هذا ثم شربه ترض وتعونه قرض وخلقه عشو وجلبابه

خلق وقد قلق لنوء غيم غاشم يستنجه نحو لازم فإن

من سيدنا بكفه بهبات لفه يوشح بمجد فاق وبأجر فلي

من وثاق لاخلت سحا باخلقه نرفد شايم برقه بمر رب

أزلي حي أبدي قال فلما استشف الأمير

لآليها ولمح السر المودع فيها أوعز في الحال بقضاء ديني

وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاشفته

واختصني بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم في ضيافته

وأرتع في ريف رأفته حتى إذا غمرتني مواهبه وأطال

ذيلي ذهبه تلطفت في الاستئذان على ما ترى من حسن

الحال قال فقلت له فشكر الذي أتاح لك القيان

السمح الكريم وأنقذ لبتك من ضغطة الغريم فقال

الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الألد

ثم قال أيهما أحب إليك أن أحذيك من العطاء أم أتحفك

بالرسالة الرقطاء قلت إملاء الرسالة إلي أحب فقال

وهو وحقك أخف علي فإن نحلة ما يلج في الآذان أهون

من نحلة ما يخرج من الأردان ثم كأنه أنف واستحيى

فجمع لي بين الرسالة والحذاء فافترقت منه بسهمين وفصلت

عنه بغنيمتين وأبت إلى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريق زماني
الذي غبر الى مجاورة اهل الوبر لآخذ اخذ نفوسهم الابية
والسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا
وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا الى ان اقتنيت هجمة
من الراغية وثلة من الثاغية ثم اويت الى عرب ارداف
اقيال وابناء اقوال فاوطنوني امنع جناب وفلوا عني
حد كل ناب فما ناب بي عندهم هم ولا وقع صفاتي سهم
الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر
فلم اطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها
فتدثرت فرسا محضارا واعتقلت لدنا خطارا وسريت
ليلتي جمعا اجوب لبيدا واقري كل شجر ومردا
الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته

فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم جلت في
صهواتها وقربت عن شحوبها وسرت لا ارى اثرا الا اقتفيته
ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا اجتزعته ولا راكبا
الا استطلعته وحتى مع ذلك يذهب هدرا ولا اجد
ورده صدرا الى ان جانت صكة عمي ولفح هجير يذهل
غيلان عن مية وكان يوما اطول من ظل القناة
واحر من دمع المقلات فايقنت اني ان لم استكن من الوقد
واستجم بالرقدة ادنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت
الى سرحة كثيفة الاغصان وريقة الافنان لاغور
تحتها الى المغربان فوالله ما استروحت نفسي ولا استراح
فرسي حتى نظرت الى شارخ في هيئة شاخ وهو ينحو نحوي
ويشتد الى تلقي فكرهت انعياجه الى معاجي واستعذت
بالله من شر كل مفاجي ثم ترجيت ان يتصدى منشدا

متشحا بجرابه
اي حاملا على ظهره

أو يبدي مرشدا فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي
ألفيته شيخنا السروجي متشحا بجرابه ومضطغنا
أهبة تجوابه فآنسني إذ ورد وأنساني ما شرد ثم
استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد
بديها ولم يقل إيها

قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزازه
أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكازه
وإذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جرازه
ليس لي ما أسا إن فات أو أحزن إن حاول الزمان ابتزازه
غير أني أبيت خلوا من الهم ونفسي عن الأسى منحازه
أرقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه
لا أبالي من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مزازه

اراد بذلك الشرب
مرة بعد مرة

لا ولا أستجيز أن أجعل الذل مجازا إلى تسني إجازه
وإذا مطلب كسا حلة العار فبعدا لمن يروم نجازه
ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنى ركوب الجنازه

ثم رفع إلى طرفه وقال لأمر ما جدع قصير أنفه فأجزته
خبر ناقتي السارحة وما عانيته في يومي والبارحة
فقال دع الالتفات إلى ما فات والطماح إلى ما طاح
ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل
من مال عن نجدك وأضرم نار نبار بحبلك ولو كان ابن
بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك في أن نقيل
ونتحامى القال والقيل فإن الأبدان أنضاها تعب والهاجرة
ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة
الهواجر وخصوصا في شهري ناجر فقلت ذاك إليك

شهرا ناجر
حزيران وتموز

وما ان بدا أن اشق عليك فافترش الترب واضطجع واظهر
انه قد هجع واتفقت على ان اعرس ولا انعس فاخذتني
السنة لما ازمت الالسنة فلم افق الا والليل قد تولج
والنجم قد تبلج ولا السروج ولا المسرج فبت بليلة
نابغية واحزان يعقوبية اساور الوجوم واساهر النجوم
افكر تارة في رحلتي واخرى في رجعتي الى ان وضح لي
عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب تخدي به الدو
فالمعت اليه بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوتي فلم يعبأ
بالماعي ولا اوى لالتياعي بل سار على هينته واصماني بسهم
اهانته فاوفضت اليه لاستردفه واحمل تعطرفه
فلما ادركته بعد الاين واجلت فيه مسرح العين وجدت
ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت ان اذريته
عن سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت انا صاحبها

ومضلها وولي رسلها ونسلها فلا تكن كاشعب فتتعب
وتشعب فاخذ يلدغ ويلدغ وينفخ ولا يستحي ويتأبى
هو يزر ويلين ونحن نتناشد ونتساكن غشينا ابو زيد
لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر فخفت والله
ان يكون يومه كامسه وبدره مثل شمسه فالحق
بالقارظين واصير خبرا بعد عين فلم ازل الا ان اذكرته
العهود المنسية والفعلة الامسية وناشدته الله اوفى
اليوم للثلاثي ام للمافية ائتلافي فقال معاذ الله ان
اجهز على مكلومي او اصل حروري بسمومي بل وافتك
لاخبر كنه حالك واكون يمينا للشمال فسكن
عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي واطلعته طلع
اللقحة ونزع صاحبي بالقحة فنظر اليه نظر ليث
العريسة الى الفريسة ثم اسرع قبله الرح واقسم له

بمن أبادر الصبح لئن لم يَنخ منجلي الذباب ويرض من الغنيمة
بالإياب لأوردن سنانه وريده ولألحقن به وليده
ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وأفلت وله حصاص
فقال لي أبو زيد تسلّمها وتسنّمها فإنها إحدى الحسنيين
وبأهون من ويلين قال الحارث بن همام فحرت
بين لوم أبي زيد وشكره ووزن نفعه بضره وكأنه
نوجي بذات صدري أو تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه
طليق وأنشد بلسان ذليق

يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي
إن يكن ساءك أمسي فلقد سرك يومي
فاغتفر ذا لهذا واطرح شكري ولومي

ثم قال أنا مُتْهِمٌ وأنت مُشْئِمٌ فكيف نتفق وولى يفري
أديم الأرض ويركض طرفه أيما ركض فما عدوت أن

أقعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت إلى حلّتي
بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودع هذه المقامة

من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله ريّق زماني يعني أوله ورائقه وقد يخفف
فيقال ريْق وقوله أخذ إخذ نفوسهم يعني اقتدى
بهم يقال منه أخذ إخذه وأخذه بكسر الهمزة وفتحها
والهجمة نحو المائة من الإبل والثلة القطيع من الغنم
والراغية الإبل والثاغية الشاء ومنه قولهم ما له راغية
ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة وقوله أرداف أقيال
أي يخلفون الملوك إذا غابوا وقوله أبناء أقوال أي فصحاء
يقال للمنطيق إنه ابن أقوال وقوله فدثرت فرسا
محضارا الدثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير

السدّ بن لعد وماخوذ من الحضر وقوله أقرى
كل سحر او مرداً الاقرا تتبع الارض والسحر ذات الشجر
والمرد الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو
وجهه من الشعر وقوله جعل الداعي الى صلاته
يعني به قول المؤذن حي على الصلوة حي على الفلاح والمصدر
منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة
والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية
قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة
حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول
بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة
حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت
فداك وقوله فنزلت عن مثل الركوبة يعني المركوبة يقال
ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها

ركوبتهم والصهوة مقعد الفارس والشحوة الخطوة
والجزع قطع الوادي عرضا وقوله صلاة عمي يعني بوقت
الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل
من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر
في الهواجر فينصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى
ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغر الاسود وازهر
فقالوا سويد وزهير وقوله وكان يوما اطول من ظل
القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف
اليوم القصير بابهام القطاة والعرب تزعم ان ظل الرمح
اطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
وقوله وأمّ من دمع المقلات هي التي
لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا جار لحزنها لانه يقال ان

دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل
للمدعو له أقرّ الله عينه مأخوذ من القُرّ وهو البرد وقيل للمدعو
عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السُّخنة وهي الحرارة وقيل
إن إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق
ما تقرّ عينه حتى لا تطمح إلى ما لغيره وكانت الجاهلية
تزعم أن المقلات إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها
وإلى هذا أشار بشر بن أبي خازم في قوله ٥
تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يُلقى على المرء مئزر
وقوله علقت بني شعوب يعني المنية ولا يدخل هذا
الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله أغور
نجمها إلى المغيربان التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس
النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة والمغيربان
تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب لأن العرب

ألحقت آخره ألفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله
مضطغنا أهبته تحت إبطه الاضطغان أن تحمل الشيء تحت
حضنه والاضطباع أن تجعله تحت ضبنه وأول مراتب
الحمل الإبط ثم يليه الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحضن
وهو عند الجنب والتحوّب مصدر تحوّب وجميع المصادر
التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تبيان وتلقاء
وزاد بعضهم تنضال وقوله عُجَره وبُجَره يريد جميع
أمره الظاهر والباطن وأصل العجر العقد الناتئة في
العصب والبجر العقد الناتئة في البطن وقوله ولم يقل
إيها أي لم يأمرني بالكف يقال للمستزاد إيه وللمستكف
إيها وقوله لأمر ما جدع أنفه قصير حين قتلت الزباء مولاه
ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة هو
الذي جدع أنفه لما اتهمه بأنه غش خاله جذيمة إذ

أشار عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى
جهزته مرادًا إلى العراق فكان يأتيها بالطرق منه
إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل
إلى قتلها والآخر بشار مولاه منها وقصته مشهورة
وقوله ولو كان ابن بوح يعني ولد الصلب إشارة
إلى أنه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل
إن البوح من أسماء الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهر الحر
وقيل إنهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا
القول وقال هما طلوع نجمين وقوله نبت بلبلة
نابغية أومأ به إلى قول النابغة
فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع
وقوله ملمعًا إليه بثوبي يعني أشرت يقال منه ألمع البرجيه
ولمع بمعنى وقوله يلدغ ويبكي هذا مثل يضرب

لمن يظلم ويشكو يقال أصاب العقرب تصيء صئيًا
بفتح الصاد وكسرها إذا صوتت وكذلك الفرخ
وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى
تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا
وهي مرنان
وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز
ثم يذل ويقال إن أصله الجدي ينزو وهو صغير فإذا
كبر لان وقوله لابسا جلد النمر هذا المثل
يضرب للمتنفج الجريء لأن النمر أجرأ سبع وأقله احتمالا
للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر أي صار مثل
النمر وقوله فألحق بالقارظين الأصل في القارظ
أنه الذي يجني القرظ وهو لبان المدبوغ به والقارظان
المشار إليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط

وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما
خبر فضرب بهما المثل لكل غايب لا يرجى ايابه واليهما
اشار ابو ذويب في قوله
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوايل
وقوله حروري يسمى الحرور الريح الحارة ليلا
والسموم الريح الحارة نهارا وقد يقام كل واحد منهما مقام
الاخرى مجازا وقال بعضهم الحرور يكون ليلا ونهارا
والسموم يختص بالنهار وقوله ليث العريسة يعني ماوى
السبع يقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها
كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فاما الغيل
والخيس فلم يلحقوهما الهاء وقوله افلت وله حصاص
هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة بعد ما اشفى عليها
وكاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط

وكانه لفزعه يعدو ويضرط

وقوله وبل اهون من وبلين هذا المثل يضرب
تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر
وبعض الشر اهون من بعض وقوله انا تيق
وانت ميق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في
الخلق فان التيق هو الممتلي غيظا ماخوذ من قولهم تاق
الاناء اذا امتلا لانه والميق هو الباكي فكان التيق ينزع الى
الشر لغيظه والميق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول
بعضهم انا كلف وانت صلف فكيف ناتلف وقوله
لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها طية بالتخفيف
وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير التي وهو
على غير قياس التصغير المطرد لان القياس ان يضم اول
الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم على فتحته الاصلية
عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان

زادت الفا في آخره وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها
على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا
وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف في
معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية وقيل
المراد بهما تصغير المكروه وتكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

أخبر الحارث بن همام قال استبضعت في بعض
أسفاري القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ
فويق الشطاط جموم النشاط أرمي عن قوس المراح إلى غرض
الأفراح وأستعين بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها
بكرة عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما
ونيت إلى أن حصل البيت فلما ألقيت به قندي وملكت
قول عندي عجت إلى الحمام على الأثر فأمطت عني وعثاء

السفر وأخذت في غسل الجمعة بالأثر ثم بادرت في
هيئة الخاشع إلى مسجدها الجامع لأحوز قربة من يقرب من
الإمام ويقرب أفضل الأنعام فخطت بأن حللت في الحلبة
وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون
في دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى إذا
اكتظ الجامع بحفله وأظل تساوي الشخص وظله
برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى
في منبر الدعوة إلى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين
وجلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال الحمد لله
الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم
اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم
ومهلك عاد وإرم أدرك كل سر علمه ووسع كل مصر
حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله أحمده

حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا
اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا والد له ولا
ولد ولا رادع معه ولا مساعد ارسل محمدا للاسلام
ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل موكدا وللاسود
والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم
الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله
وكمل الصلوة والسلام له ورحم آله الكرام واهله
الرحما ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا
حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحا واكدحوا لمعادكم
كدح الاصحا واردعوا اهواكم ردع الاعدا واعدوا
للرحلة اعداد السعدا وادرعوا حلل الورع وداووا
علل الطمع وسووا اود العمل وعاصوا وساوس الامل
وصوروا لاوهامكم حوول الاحوال وحلول الاهوال

ومساورة

ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل وادكروا
الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد
ووحدة مودعه والملك وروعة سواله ومطلعه
والمحوا الدهر ولوم كره وسو محاله ومكره كم طمس
معلما وامر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا
مكرما همه سد المسامع وسح المدامع واكدا المطامع
وارداء المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع
والمسود والمطاع والمحسود والحساد والاساود
والاساد ما مول الآمال وعكس الاعمال ولا وصل الا
وصال وكلم الاوصال ولا سر الا وسا ولوم واسا ولا
اصح الا ولد الدا وروع الاودا الله الله رعاكم
الله الامر مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول
الاصرار وحمل الاصار واطراح كلام الحكما ومعاصاة

الله السماء اما الهرم حصادكم والمدر مهادكم اما الحمام
ميعادكم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم
والساهرة موردكم اما اهوال الطامة لكم مرصدة
اما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك
ورواؤهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم
لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عاد الا رحم
الله امرأ ملك هواه وامّ مسالك هداه واحكم طاعة
مولاه وكدّ لروح ماواه وعمل ما دام العمر مطاوعا
والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا
دهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الالام وحموم
الحمام وهدوّ الحواس ومراس الارماس اواها لها حسرة
المها موكد وامدها سرمد ومعارسها مكمد ما لوهه
حاسم ولا لسدمه راحم ولا لما عراه عاصم الهمكم الله

أحمد الالهام وردّاكم رداء الاكرام واحلكم دار السلام
واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو اسمع الكرام
والمسلم والسلام قال الحرث بن همام فلما
رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط دعاني
الاعجاب بنظمها العجيب الى استجلاء وجه الخطيب
فاخذت اتوسمه جدا واقلب الطرف فيه مجدا الى ان وضح
لي بصدق العلامات انه شيخنا ذو المقامات ولم يكن
بدّ من الصمت في ذلك الوقت فامسكت حتى تحلل من
الفرض وحلّ الانتشار في الارض ثم واجهته تلقاه وابتدرت
لقاءه فلما لحظني خفّ في القيام واحفى في الاكرام
ثم استصحبني الى داره واودعني خصائص اسراره
وحين انتشر جناح الظلام وحان منام النوام احضر
اباريق المدام مختومة بالفدام فقلت اتحسوها امام

اليومَ وأنتَ إمامُ القوم فقال مَهْ أنا بالنهار خطيب
وفي الليل أطيب فقلت والله ما أدري أأعجب من تسلّيك
عن أناسك ومسقط راسك أم من خطابتك مع أدناسك
ومدار كاسك فأشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبكِ إلفاً نأى ولا دارا ودُرْ مع الدهر كيف ما دارا
واتّخذ الناس كلهم سكناً ومثّل الأرض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره ودارِه فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما تدري أيوماً تعيش أم دارا
واعلم بأنّ المنون جائلة وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة ما دام عصر المحيا فيما دارا
فكيف ترجّي النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما أعشونا الكؤوس وطربت النفوس
جرّعني اليمين الغموس على أن أحفظ عليه الناموس فاتّبعت

مرامه ورعيت ذمامه وتركته بين الملا الأمر له الفضل
وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي
الى أن هبّا إيابي فودّعته وهو مصرّ على التدليس ومسرّ
حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط
الى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها
سكناً ولا أملك فيها مسكناً ولما حللتها حلول
الحوت بالبيدا والشعرة البيضا في اللمة السودا قادني
الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق
وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه
يرغب الغريب في إبطانه ويتسلى به عن أوطانه فاستفردت
منه بحجرة ولم أنافس في أجرة فما كان الا كلمح طرف

أو خطر حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيله في
البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب
ذا الوجه البدري واللون الدري والأصل النقي والجسم
الشقي الذي نفض ونشر وسجن وشهر وسقي وفطم وادخل
النار بعدما لطم ثم اركض إلى السوق ركض المشوق فقايض
به اللازج المفلح المفسد المصلح المكمد المفرح المغني المروح
ذا الزفير المحرق والحنين المشرق واللفظ المقنع والنيل الممتع
الذي إذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق ونفث في الخرق قال
فلما رنت شقشقة الهادر ولم يبق إلا صدر الصادر برز
فتى عبس وما معه أنيس فرأيتها عضلة تلعب بالعقول وتغري
بالدخول في الفضول فانطلقت في إثر الغلام لأخبر فحوى
الكلام فلم يزل يتشعى شعب العفارب وينفقد نضائد
الجوانب حتى انتهى عند الرواح إلى الجبانة الفلاح فأول

بأبيهما رغيفا وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة
المرسل والمرسل وعلمت أنها سر وجبه وإن لم أسل وما
كذبت أن بادرت إلى الخان منطلق العنان لأنظر كنه فهمي
وهل قرطس في التكهن سهمي فإذا أنا في الفراسة فارس
وأبو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقا
وتقارضنا تحية الأصدقاء ثم قال ما الذي بلّ حتى
زايلت جنابك فقلت دهر هاض وجور فاض فقال والذي
أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر من الأكمام لقد فسد
الزمان وعمّ العدوان وعدم المعوان والله المستعان فكيف
أفلت وعلى أي وصف بك أجفلت فقلت اتخذت الليل
قميصا وادلجت فيه خميصا فاطرقت ينكت في الأرض
ويعد ولي في أنباء الفض والقض ثم اهتز هزة من أنشط
فنص أو بت له فرص وقال قد علق بقلبي أن نضاهر من ناشو

جراحك وبرّ بين جناحك فقلت وكيف أجمع بين غلّ
وغُلّ ومن الذي يرغب في ضلّ بن ضلّ فقال أنا المشير بك
والكفيل لك وعليك مع أن دين القوم جبر
الكسر وفكّ الأسر واحترام العشير واستصلاح المشير
الا أنهم لو خطب إليهم إبرهيم بن أدهم أو جبلة بن الأيهم
لما زوّجوه إلا على خمس مائة درهم اقتداءً بما مهر الرسول
زوجاته وعقد به أنكحة بناته على أنك لن تطالب بصداق
ولا تلجأ إلى طلاق ثم إني سأخطب في موقف عقدك ومجمع
حشدك خطبة لم تقرع سمع ولا خطب بمثلها في جمع
قال الحرث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة
المتلوّة دون الخطبة المجلوّة حتى قلت له قد وكلت إليك
هذا الخطب فدبّر به من طبّ لمن حبّ فنهض مهرولا
ثم عاد متهللا وقال أبشر بإعتاب الدهر واجتلاب الدرّ

فقد ولي العقد وكفلت النقد وكان قد ثم أخذ في
مواعدة أهل الخان وإعداد حلوا الخوان فلما مدّ الليل
أطنابه وأغلق كلّ ذي باب بابه أذن في الجماعة
الأحاضر وأي هذه الساعة فلم يبق فيهم الا من لبّى صوته
وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود
عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه وينحط التقويم
ويدعه إلى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا
ضع الفاس في الراس وخلّص الناس فنظر نظرة في النجوم
ثم انتشط من عقلة الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور
ليكشفنّ سرّ هذا الأمر المستور ولينشرنّ ذكره
إلى يوم النشور ثم إنه جثا على ركبته وأسرع على الأسماع
لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك
الودود مصوّر كل مولود ومآل كل مطرود ساطح

المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهل
الأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك ومهلكها
ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها
عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السؤل والأمل
وأوسع المرمل والأرمل أحمده حمداً ممدوداً مداه وأوحده
كما وحده الأواه وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما
عدله وسواه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام ومسدداً
للرعاع ومعطلاً أحكام ود وسواع أعلم وعلم وحكم
وأحكم وأصل الأصول ومهد وأكد الوعود وأوعد واصل
الله له الإكرام وأودع روحه السلام ورحم آله وأهله
الكرام ما لمع آل وملع رال وطلع هلال وسمع إهلال
اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك
الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه

وصلوا

وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها
وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو
والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار مولداً وأسراهم
سؤدداً وأحلاهم مورداً وأصحهم موعداً وها هو أمكم
وحل حرمكم مملكاً عروسكم المكرمة وماهراً لها
كما مهر الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد
وملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس
ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم إحماد وصاله ودوام
إسعاده وألهم كلاً إصلاح حاله والإعداد لمعاده
وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد فلما فرغ
من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام عقد
العقد على خمس المئين وقال لي بالرفاء والبنين ثم أحضر
الحلواء التي كان أعدها وأبدى الابتهاج عندها فأقبلت

إقبال الجماعة عليها وكدت أهوي بيدي إليها فزجرني عن
ألمّ أكله وأنهضني للمناقلة له فوالله ما كان بأسرع من
تصالح الأجفان حتى خرّ القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز
نخل خاوية أو صرعى بنت خابية علمت أنها إحدى الكُبَر وأمّ
العبر فقلت له يا عدوّ نفسه وعبد فلسه أعددت للقوم
حلوى أم بلوى فقال لم أعدُ خبيص النخ في صحاف الخلنج
فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا وهدى بها السارين ظهرا لقد
جنيت شيئا نكرا وأبقيت لك في المحاريب ذكرا ثم جرت فكرة
في صيور أمري وخيفة من عدوى عرّه حتى طارت نفسي شعاعا
وارعدت فرائصي ارتياعا فلما رأى استطارة فرقي واستشاطة
قلقي قال ما هذا القلق المُمِضّ والروع المومض فإن يكن
فكرك في أجل من أجلي فأنا الآن أربع وأظفر وأقوى
هذه البقعة مني وأقفر فكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وإن يكن نظرا لنفسك وحذرا من حبسك فتناول فضالة
الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تأمن المستعدي والمعدي
ويتمهّد لك المقام بعدي وإلا فالمفرّ المفرّ قبل أن تسحب وتجرّ
ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الأدباش والتخوت وجعل
يستخلص خالصة كل مخزون ويجنب كل مذروع وموزون
حتى غادر ما ألغاه فحه لعظم استخراج مخه فلما همّ ما
اصطفاه وزمّ وشمّر عن ذراعه وتحزّم أقبل على إقبال
من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة
إلى البطيحة لأصلك بأخرى مليحة فأقسمت له بالذي
جعله مباركا أينما كان ولم يجعله ممن خان في خان
إنه لا قبل لي بنجاح حرّتين ومعاشرة ضرّتين ثم قلت له قول
المنطبع بطباعه الكائل له بصاعه قد كفتني الأولى
فخرا فاطلب لأخرى أخرى فتبسّم من كلامي ودلف لالتزامي

فلويت عنه عذاري وأبديت له ازوراري فلما أبصر
بانقباضي وتجلي لواء إعراضي أنشد
يا صارفاً عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف إن تمكن أو مخوف
لا الصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف
وحلمت فيما أفتنوه يدي وهم رغم الأنوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف

ولطالما خلف مكلوم الحشا خلفي يطوف
ووترت أرباب الأرائك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الأسد فيه من الوقوف
ولكم شغفت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف
وكم ارتكاض موبق لي في الذنوب وكم خفوف
لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف
قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستعبار
وألظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المتحرف ورجوت
له ما يرجى للمقترف المعترف ثم إنه غيض دمعه المنهل
وتأبط جرابه واستل وقال لابنه احمل البلقي والله
الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب
الحية والحية وانتهاء الداء إلى الكية علمت أن

ثم أتيت الخان مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت
للرحلة ذيلي وبت ليلتي أسري إلى الطيب وأحتسب الله
على الخطيب

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة
المنصور إلى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض
وما لك رفع وخفض تقت إلى مصر توقان السقيم إلى
الأساة والكريم إلى المواساة فرفضت علائق الاستقامه
ونفضت عوائق الإقامه واعروريت ظهر ابن النعامه
وأجفلت نحوها إجفال النعامه فلما دخلتها بعد
معاناة الأين ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان
بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما أنا يوما
بها أطوف وتحتي فرس قطوف إذ رأيت على جدد

من خيل

من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لأي خطب
النزهة عن العصبة والوجهة فقيل أما القوم فشهود
وأما المقصد فإملاك مشهود فحدتني ميعة النشاط
على أن سرت مع الفراط لأفوز بحلاوة اللقاط وأحوز
حلوا السماط فأفضينا بعد مكابدة العناء إلى دار
رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء
فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الأقدام للدخول
رأيت دهليزها مجللا بأطمار محرفة ومكللا بمخارف
معلقة وهناك شخص على طنفسة فوق دكة لطيفة
فرابني عنوان الصحيفة ومرأى هذه الطريفة ودعاني
النظر بتلك المناحس إلى أن عمدت لذلك الجالس
فعزمت عليه بمصرف الأقدار ليعرفني من رب هذه
الدار فقال ما لها مالك معين ولا صاحب مبين وإنما هي

مصطبة المقفين والمدروزين ووليجة المستقفين
والمجلوزين فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى وامحال
المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكني استهجنت العود من
فوري والقهقرى دون غوري فولجت الدار مجرعا الغصص
كما يلج العصفور القفص فاذا فيها ارايك منقوشة
وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة
وقد اقبل المملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته
فحين جلس كانه ابن ماء السما نادى منادٍ من قبل الاحماء
وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين
لا عقد هذا العقد المبجل في ذا اليوم الاغر المحجل الا الذي
جال وجاب وشب في الكدية وشاب فاعجب رهط
الصهر ما اشار اليه واذنوا في احضار المنصوص عليه
فبرز شيخ قد مال الملوان قامته ونور الفتيان

ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى
استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت الاصوات
لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده ثم قال
الحمد لله المبتدي بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه
بالسؤال المؤمل لتحقيق الامال الذي شرع الزكوة
في الاموال وزجر عن نهر السوال وندب الى مواساة المضطر
وامر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين
في كتابه المبين فقال وهو اصدق القايلين والذين
في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم احمده على ما رزق
من طعمة هنية واعوذ به من استماع دعوة بلا نية
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها يجزي
المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربي الصدقات
واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه

لينسخ الظلمة بالضيا وينصف للفقرا من الاغنيا ورق
صلى الله عليه بالمسكين وخفض جناحه للمستكين
وفرض الحقوق في اموال المثرين وسن ما يجب للمقلين
على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى
وعلى اصحابه اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى شرع
النكاح لتتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال
سبحانه لتعرفوا انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا وهذا ابو الدراج ولاج بن خراج
ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح
والابرام والالحاح يخطب شلبطة اهلها وشريطة بعلها
قنبس بنت ابي العنبس لما بلغه من الحافها بالحافها واسرافها
في انفاقها وانكاشها على معاشها وانتعاشها عند هراشها
وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصفاعا وكرازا

فانكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم
عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله اقول قولي
هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم واسأله ان يكثر
في المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم قال فلما
فرغ الشيخ من خطبته وابرم للختن عقد خطبته تساقط
من النثار ما استغزر وجد الاكثار واغرى الشيخ بالايثار
ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم اراذله قال
الحرث بن همام فتبعته لانظر عرجة القوم واكمل البهجة
اليوم فعاج بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت في الحسن
جهاته فحين ربع كل شخص في ربضته وطفق يرتع في
روضته انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت
من الشيخ لفتة الي ونظرة هجم بها طرفه علي فقال الى اين
يا برم هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذي

خلفها طباقا وطفقها اشراقا لاذقت لماقا ولا لبست رفاقا
او تخبرني ابن مدب صباك ومن ابن مهب صباك فتنفس
الصعدا مرارا وارسل البكا مدرارا حتى اذا استنزف
الدمع استنصت الجمع وقال لي اسمع

مسقط الراس سروج وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها كل شي ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رباها ومراها البهيج
وازاهير رباها حين تجتاب الثلوج
من راها قال مرسى جنة الدنيا سروج
ولمن نزح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ اخرجني عنها العلوج
غربة نهمي وشجو كلما قر يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في الترجي قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما بين بلده ووعيت ما انشده ايقنت
انه علامتنا ابو زيد وان كان الهرم قد اوثقه بقيد
فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته من صحفته
وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه واحشو صدفي
من درر الفاظه الى ان نعب بيننا غراب البين ففارقته
مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلثون الرملية

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان
الشباب وريعان العيش اللباب اقلي الاكتنان بالغاب

وأهوى الاندلاق من القراب لعلي ان اشفى بنفح السفر ونجح
الظفر ومعاقرة الوطن بعفر الفطن ونجعة من فطن
فأجلت قداح الاستشارة وأقدحت زناد الاستخارة
ثم استحثثت جأشا أثبت من الحجارة وأصعدت إلى ساحل
الشام للتجارة فلما أجممت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة
صادفت ركبا يعد للسرى ورجالا تشد إلى أم القرى
فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوق إلى البيت الحرام
فزممت ناقتي ونبذت علقتي وعلاقتي
وقلت للائمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية
السيل وإلى الخير جري الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب
وإيجاف وتقريب إلى أن حيينا أيدي المطايا بالجحفة في

إيصالنا إلى الجحفة فحللناها متأهبين للإحرام
مستبشرين بإدراك المرام فلم يك إلا أن أنخنا الركائب
وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شخص ضاحي
الإهاب وهو ينادي يا أهل ذا النادي هلم إلى ما ينجي يوم
التنادي فانخرط إليه الحجيج وانصلتوا واحتفوا به
وأنصتوا فلما رأى تأثفهم حوله واستطعامهم قوله تسنم
إحدى الإكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يا معشر
الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون
وإلى من تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلى ما
ذا تقدمون أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع
المراحل واتخاذ المحامل وإنضاء الزوامل أم تظنون أن
النسك هو نضو الأردان وإنضاء الأبدان ومفارقة الولدان
والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة

قبل اجتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك البنية
وامحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح
المعاملات امام اعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك
للناسك وارشد السالك في الليل الحالك ما ينفي الاشتغال
بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا يعدل تعرية الاجسام
بتعبية الاجرام ولا تغني لبسة الاحرام عن المتلبس بالحرام
ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا
يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض
التنسك بالتقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد
بعرفة غير اهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف
ولا يشهد المقام الا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة
من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ اصفى قبل مسعاه الى
الصفا وورد شريعة الرضى قبل شروعه على الاضا ونزع عن

تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الافاضة
من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم وكاد
يزعزع الجبال الشم وانشد شعرا

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اعتيامك اجمالا واحداجا
الحج ان تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الانصاف متخذا ... ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وان تواسي بما اوتيت مقدرة ... من مد كفا الى جدواك محتاجا
فهذه ان حوتها حجة كملت ... وان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرائين عنا انهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا كدا وازعاجا
وانهم حرموا اجرا ومحمدة ... والجموا عرضهم من عاب او هاجى
اخي انتبه لما تبدي به من قرب ... وجه المهيمن ولا جاها وخراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية ... ان اخلص العبد في الطاعات او داجى
فبادر الموت بالحسنى تقدمها ... فما ينهنه داعي الموت ان فاجا

واقل التواضع خلقا لا تزال به عند الليالي ولو البستك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ولو تراءى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع باهل ان يصاخ له كم قد اصم سعي بعض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات مفتتحا بلغة تدرج الايام ادراجا
فكل كسر الى قل مغبته وكل نار الى لين وان هاجا

قال الراوي فلما القح عقم الاوهام بسجع الكلام استروحت ريح ابي زيد ومادني الارتياح اليه اي ميد فمكثت حتى استوعب بث حكمته وانحدر من اكمته ثم دلفت اليه لاتصفح صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فاذا هو الضالة التي انشدها وناظم القلائد اللاتي انشدها فعانقته عناق اللام للالف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسالته ان يلازمني فابا او يزاملني فنبا وقال آليت في حجتي هذه الا احتقب ولا اعتقب ولا اكتسب ولا ارتفق ولا ارافق من نافق ثم ذهب يهرول وغادرني اولول فلم ازل اتبعه بنظري واود لو يمشي على ناظري حتى توقل احد الاطواد ووقف للحجيج بالمرصاد فجثم يشاهد انضاء الركبان في الكثبان ووقع بالبنان على البنان واندفع ينشد

لبئس من زار راكبا مثل ساع على القدم
لا ولا خادم اطاع كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي سعي بان ومن هدم
سيقيم المفرطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقرب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم

وَآنْدُبي فِعْلَكِ القبيحَ وسُحّي لَهُ بِدَمْ
وَآدْبُغيهِ بتوبةٍ قبلَ أنْ تَحْلَمَ الأدَمْ
فعَسَى اللهُ أنْ يقيكِ السَّعيرَ الذي احْتَدَمْ
يومَ لا عثرةٌ تُقالُ ولا ينفعُ النَّدَمْ

ثُمَّ إنّهُ أغمدَ عضبَ لِسانِهِ وانطلقَ لِشانِهِ فما زلتُ في كُلِّ مَوْرِدٍ نَرِدُهُ ومُعرَّسٍ نتوسّدُهُ ننشُدُهُ فنَفْقِدُهُ ونستنجِدُ بمن يَنْشُدُهُ فلا نَجِدُهُ حتى خِلْنا أنَّ الجِنَّ اختطفتهُ أو الأرضَ اقتطفتهُ فما كابدتُ في الغُربةِ كهذهِ الكُربةِ ولا مُنيتُ في سفرةٍ بمثلِها من زفرةٍ

المقامة الثانية والثلثون

حكى الحرثُ بنُ همّامٍ قال أجمعتُ حينَ قضيتُ مناسكَ الحجِّ وأقمتُ وظائفَ العجِّ والثجِّ أنْ أقصدَ طيبةَ مع رُفقةٍ من بني شيبةَ لأزورَ قبرَ المصطفى وأخرجَ

من قبيلِ من حجَّ وجفا فأُرجِفَ بأنَّ المسالكَ شاغرةٌ وعَرَبَ الحرمينِ متشاجرةٌ فحَرَنَ إشفاقي مُثبّطي وأشواقي تُنشّطني إلى أن أُلقيَ في رُوعي الاستسلامُ وتغليبُ زيارةِ قبرِهِ عليهِ السّلامُ فاعتمتُ لقعدةٍ وأعددتُ العُدّةَ وسرتُ والرُّفقةُ لا نلوي على عَرجةٍ ولا ننثني في تأويبٍ ولا دُلجةٍ حتى وافينا بني حربٍ وقد آبوا من حربٍ فأزمعنا أنْ نقضيَ ظِلَّ اليومِ في حِلّةِ القومِ وبينما نحنُ نتخيّرُ المُناخَ ونرودُ الوِرْدَ النُّقاخَ إذ رأيناهم يركضونَ كأنّهم إلى نُصُبٍ يُوفِضونَ فرابنا انثيالُهم وشاقنا ما بالُهم فقيلَ قد حضرَ ناديَهم فقيهُ العربِ فأهرعَهم لهذا السّببِ فقلتُ لرُفقتي ألا نشهدُ مجمعَ الحيِّ لنتبيّنَ الرُّشدَ منَ الغيِّ فقالوا لقد أسمعتَ إذ دعوتَ ونصحتَ وما ألوتَ ثُمَّ نهضنا نتبعُ الهاديَ ونؤمُّ النّاديَ حتى إذا أظللنا عليهِ واستشرفنا الفقيهَ

المنهود إليه الفئة أبا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر
وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء واعتان
الحي به محتفون وأخلاطهم عليه ملتفون وهو يقول
سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي
فطر السماء وعلم آدم الأسماء إني لفقيه العرب العرباء
وأعلم من تحت الجرباء فقصده فتى للسان جري الجنان
وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة
فتيا فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير ويرغب منا في مير
فاستمع وأجب لتقابل بما يجب فقال له الله أكبر ستبين
المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال ما تقول فيمن
توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله النعل
الزوجة قال فإن توضأ ثم اتكأه البرد قال يجدد
الوضوء من بعد البرد النوم قال أيجوز الوضوء بما يقذفه

الثعبان قال وهل أنظف منه للعريان الثعبان جمع
ثعب وهو مسيل الوادي قال أيمسح المتوضي أنثييه
قال قد ندب إليه ولم يوجب عليه الأنثيان الأذنان
قال أيستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير
الضرير حرف الوادي والبصير الكلب قال أيحل الطوف
في الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع الطوف الغوط
والربيع النهر قال أيجب الغسل على من أمنى قال لا
ولو ثنى أمنى نزل منى يقال منه منى وأمنى ومنى قال
فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل
إبرته الفروة جلدة الرأس والإبرة عظم المرفق قال
فإن أخل بغسل فأسه قال هو كما لو ألغى غسل رأسه الفأس
العظم المشرف على نقرة القفا قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى
روضا قال بطل تيممه فليتوضأ الروض هاهنا جمع روضة

وهي الصبابة تبقى في الحوض ○ قال أيجوز أن يسجد الرجل في
العذرة ○ قال نعم ويجانب القذرة ○ العذرة فناء الدار ○
قال فهل له السجود على الخلاف ○ قال لا ولا على أحد الأطراف ○
الخلاف الكم ○ قال فإن سجد على شماله ○ قال لا بأس بفعاله ○
الشمال جمع شملة ○ قال فهل يجوز السجود على الكراع ○
قال نعم دون الذراع ○ الكراع ما استطال من الحرة ○ قال
أيصلي على رأس الكلب ○ قال نعم كسائر الهضب ○ رأس الكلب
ثنية معروفة ○ قال فإن صلى وعانته بارزة ○ قال
صلاته جائزة ○ العانة جماعة حمر الوحش ○ قال فإن صلى
وعليه صوم ○ قال يعيد ولو صلى مائة يوم ○ الصوم ذرق
النعام ○ قال فإن حمل جروا وصلى ○ قال هو كما لو حمل باقلى
الجرو الصغار من القثاء والرمان ○ قال أتصح صلوة حامل
الفروة ○ قال لا ولو صلى فوق المروة ○ الفروة مبلغة الكلب

قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو ○ قال يمضي في صلاته ولا
غرو ○ النجو السحاب الذي قد هراق ماءه ○ قال أيجوز أن يؤم
الرجال مقنع ○ قال نعم ويؤمهم مدرع ○ المقنع لابس المغفر
والمدرع لابس الدرع ○ قال فإن أمهم من في يده وقف
قال يعيدون ولو أنهم ألف الوقف السوار من العاج أو الذبل
وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء ○ قال فإن أمهم
من فخذه بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية ○ الفخذ
العشيرة وبادية يسكنون البدو واختار بعضهم تسكين
الخاء منها ليحصل الفرق بينها وبين العضو ○ قال فإن أمهم
الثور الأجم ○ قال صل وخلاك ذم ○ الثور السيد والأجم
الذي لا رمح معه ○ قال أيدخل القصر في صلاة الشاهد
قال لا والغائب الشاهد صلوة الشاهد صلاة المغرب
سميت بذلك لإقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد

من هذا الفخذ

قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان قال ما رخص
فيه إلا للصبيان المعذورين والمعذرين المختونين
أيضا. قال فهل للمعرس أن يأكل فيه. قال نعم على فيه المعرس
الذي ينزل آخر ليله ليستريح ثم يرتحل. قال فإن أفطر فيه
العراة. قال لا أشدد عليهم الولاة. العراة الذين يأخذهم
العرواء وهي الحمى برعدة. قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح
قال هو أحوط له وأصلح. أصبح أي استصبح بالمصباح.
قال فإن عمد لأن أكل ليلا. قال ليتسم للقضاء بلا. الليل
ولد الحبارى وقيل هو ولد الكروان واحده كروان. قال
فإن أكل قبل أن تتوارى البيضا. قال يلزمه وأيم الله القضا.
البيضا من أسماء الشمس. قال فإن استثار الصائم الكبد
قال أفطر ومن أجل الصيد الكبد القي واستثاره أي استدعاه
قال أله أن يفطر بالحاح الطالح. قال نعم لا بطاهي المطابخ.

الليل

الطاهي الطباخ

الطابخ

الحمى الصالب. قال فإن ضحكت المرأة في صومها. قال بطل
صوم يومها. ضحكت هاهنا حاضت ومنه قوله تعالى
فضحكت فبشرناها بإسحق. قال فإن ظهر الخدري على ضرتها.
قال تفطر إن أدمى ضرتها. الضرة أصل الإبهام وأصل الثدي
أيضا. قال ما تجب في مائة مصباح. قال حقتان يا صاح
المصباح الناقة التي تصبح في المبرك. قال فإن ملك عشر
خناجر. قال تخرج شاتين ولا تشاجر. الخناجر النوق الغزار
واحدها خنجر وخنجور. قال فإن سمح للساعي بجميمة. قال يا
بشرى له يوم قيامته. الساعي جابي الصدقة والجميمة
خيار المال. قال أيستحق حملة الأوزار من الزكاة جزاء.
قال نعم إذا كانوا غزى. الأوزار السلاح والغزى جمع غاز.
قال أيجوز للحاج أن يعتمر. قال لا ولا أن يختمر. الاعتمار لبس
العمارة وهي العمامة. والاختمار لبس الخمار. قال فهل له أن

يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع • الشجاع الحية • قال
فإن قتل زمارة في الحرم • قال عليه بدنة من النعم • الزمارة
النعامة واسم صوتها الزمار • قال فإن رمى ساق حر فجدله
قال ليخرج شاة بدله • ساق حر ذكر القماري • قال فإن
قتل أم عوف بعد الإحرام • قال يتصدق بقبضة من الطعام
أم عوف الجرادة • قال أيجب على الحاج استصحاب القارب
قال نعم ليسوقهم إلى المشارب • الحاج اسم للجمع والواحد والقارب
طالب الماء بالليل • قال ما تقول في المحرم بعد السبت • قال
قد حل في ذلك الوقت • المحرم الحرام والسبت حلق الرأس
وحل من تحليل الحج • قال ما تقول في بيع الكميت • قال حرام
كبيع الميت • الكميت الخمر • قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل •
قال لا ولا بلحم الحمل • الخل ابن المخاض ولا يجوز بيع اللحم بالحيوان
سواء كان من جنسه أو من غير جنسه • قال أيحل بيع الهدية

قال لا ولا

قال لا ولا بيع السبيئة • الهدية بتشديد الياء ما يهدى إلى
الكعبة ويقال فيها • هدية بتسكين الدال وتخفيف
الياء والسبيئة الخمر يذبح عن المولود في اليوم السابع من
ولادته • قال أيجوز بيع الداعي على الراعي • قال لا ولا للساعي
الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة • قال
أيباع الصقر بالتمر • قال لا ومالك الخلق والأمر • الصقر
الدبس • قال أيشتري المسلم سلب المسلمات • قال نعم ويورث
عنه إذا مات • السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام
قال أيباع الإبريق على بني الأصفر • قال يكره كبيع المغفر
الإبريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر الروم •
قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه • قال لا ولكن ليبع صفيه •
الصيفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر •
قال فهل يجوز أن يباع الشافع • قال ما لجوازه من دافع • الشافع

الشاة التي معها سخلتها. قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه
جراح. قال ما في ردّه جناح. الأمّ مجمع الدماغ. قال أتثبت
الشفعة للشريك في الصحراء. قال لا ولا للشريك في الصفراء.
الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة. قال أيحلّ أن يحمي
ماء البير والخلا. قال إن كانا في الفلاة فلا. يحمي يمنع والخلا
الكلأ. قال ما تقول في ميتة الكافر. قال حلّ للمقيم
والمسافر. الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مايه. قال
أيجوز أن يضحّى بالحول. قال هو أجدر بالقبول. الحول جمع حايل
قال فهل يضحّى بالطالق. قال نعم ويقرى منها الطارق. الطالق
الناقة التي ترسل ترعى حيث شاءت. قال فإن ضحّى قبل
ظهور الغزالة. قال شاته لحم بلا محالة. الغزالة الشمس
يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضدها الجونة
تسمى بها عند مغيبها لأنها تسودّ حين تغيب كما قال الراجز

يبادر الجونة أن تغيبا. قال أيحلّ التكسب بالطرق
قال هو كالقمار بلا فرق. الطرق الضرب بالحصا وهو من أفعال
الكهنة. قال أيسلم القايم على القاعد. قال المحظور فيما بين
الأباعد. القاعد التي قعدت عن الأزواج أو الحيض.
قال أينام الجاهل تحت الرقيع. قال أحبب به في البقيع. الرقيع
السما والبقيع بقيع المدينة. قال أيمنع الذمّي من قتل
العجوز. قال المعارضة في العجوز لا تجوز. العجوز الخمر وقتلها
مزجها. قال أيجوز أن يتنفل الرجل عن عمارة أبيه. قال ما
جوّز ولا لابنيه. العمارة القبيلة. قال ما تقول في التهوّد
قال هو مفتاح التزهّد. التهوّد التوبة ومنه قوله تعالى
إنا هدنا إليك. قال ما تقول في صبر البلية. قال أعظم به
من خطيئة. الصبر الحبس والبلية الناقة التي تحبس عند قبر
صاحبها فلا تسقى ولا تعلف إلى أن تموت وكانت الجاهلية

الطرق

بن عم ان صاحبها يحتز عليها . قال ايجوز دبح الشافع
قال ما اجوزه من دافع الشافع الشاة التي معها سخلتها
قال ايحل ضرب السفير . قال نعم والحمل على المستشير السفير
ما تساقط من ورق الشجر . والمستشير الجمل السمين وهو
ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل . قال ايعزر الرجل
اباه قال يفعله البر ولا يأباه . التعزير التعظيم والنصرة
قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال حبذا ما توخاه افقره اعاره
ناقة يركب فقارها . قال فان اعرى ولده قال باحسن ما
اعتمده اعراه اعطاه ثمر نخلة عاما . قال فان اصلى مملوكه
النار قال لا اثم عليه ولا عار . المملول الخبز الذي قد اجيد
عجنه حتى قوي . قال ايجوز للمرأة ان تصرم بعلها قال ما
حظر احد فعلها البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض
قال فهل يؤدب المرء على البخل قال اجل . البخل سوء احتمال الغنى

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للنساء انكن اذا جعتن
دقعتن واذا شبعتن خجلتن . قال ما تقول فيمن نحت
اثلة اخيه قال اثم ولو اذن له فيه . نحت اثلته اذا اغتابه
وقدح في عرضه . قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم
ليأمن غائلة الجود . الثور الجنون . قال فهل له ان يضرب
على يد اليتيم قال نعم الى ان يستقيم . يقال ضرب على يده اذا
حجر عليه . قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له
رضا . الربض الزوجة . قال فمتى يبيع بدن السفيه قال حين
يرى له الحظ فيه . البدن الدرع القصيرة . قال فهل يجوز
ان يبتاع له حشا قال نعم اذا لم يكن مغشا . الحش النخل المجتمع
قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما . قال نعم اذا كان عالما
الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده .
قال ايستقضى من ليست له بصيرة قال نعم اذا حسنت

هذه السيرة. البصيرة الترس. قال فإن تعرى من العقل
قال ذاك عنوان الفضل. العقل ضرب من الوشي. قال
فإن كان له زهو جبار. قال لا إنكار ولا إكبار.
الزهو البسر الملون. والجبار النخل الذي فات اليد
وضله القاعد. قال أيجوز أن يكون الشاهد
مريبا. قال نعم إذا كان أريبا. المريب الذي يكثر عنده
اللبن الرائب. قال فإن بان أنه لاط. قال هو كما لو خاط.
لاط الحوض إذا طينه. قال فإن عثر على أنه غربل. قال
ترد شهادته ولا تقبل. غربل أي قتل ومنه قول الراجز
ترى الملوك حوله مغربله. قال فإن وضح
أنه مائن. قال هو وصف له زائن. المائن هاهنا الذي
يكفي المؤنة ويعول من مان يمون. قال ما تجب على عابد
الحق. قال تحلف بالله الخالق. العابد هاهنا

والحق الدين. قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا.
قال تفقأ عينه قولا واحدا. البلبل الرجل الخفيف.
قال فإن جرح قطاة امرأة فماتت. قال النفس بالنفس
إذا فاتت. القطاة ما بين الوركين. قال فإن ألقت
الحامل حشيشا من ضربه. قال ليكفر بالإعتاق
عن ذنبه. الحشيش الجنين الملقى ميتا. قال ما يجب
على المختفي في الشرع. قال القطع لإقامة الردع.
المختفي نباش القبور. قال فإن سرق ثمينا من ذهب
قال لا قطع كما لو غصب. الثمين الثمن كما يقال في
النصف نصيف وفي السدس سديس. قال فإن
بان على المرأة السرق. قال لا حرج عليها ولا فرق. السرق
الحرير الأبيض. قال أينعقد نكاح لم تشهده القواري
قال لا والخالق الباري. القواري الشهود لأنهم يقرون

الأشياء أي يتبعها . قال فما تقول في عروس بانت
بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بشجرة قال يجب لها
نصف الصداق . ولا تلزمها عدة الطلاق . يقال بانت
العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها فإن اقتضها
قيل بانت بليلة شيباء والرد في الحافرة بمعنى الرجوع
في الطريق الأول وكني به عن طلاقها وردها إلى
أهلها . فقال له السائل لله درك من بحر لا ينضضه
الماتح وحبر لا يبلغ مدحة المادح ثم أطرق إطراق الحيي
وأرم إرمام العيي فقال له أبو زيد إيه يا فتى فإلى متى
وإلى متى فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد إشراق
صبحك مماراة فبالله أي ابن أرض أنت فما أحسن ما أنت
فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق .

أنا في العالم مثله ولأهل العلم قبله .

غرائبي كل يوم بين تعريس ورحله .
والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له .

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن يهدي ويهدى فاجعلهم
ممن يهتدي ويهدي فنساق إليه القوم ذوداً معقبة
وسألوه أن يزورهم الفينة بعد الفينة فنهض ينهنهم
العود ويزجي الأمة والنؤود . قال الحارث
ابن همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها فمتى صرت
فقيها فظل هنيهة يجول ثم أنشأ يقول .

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما يلائمه لأروق الجليسا .
فعند الرواة أدير الكلام وبين السقاة أدير الكؤوسا
وطورا بوعظي أسيل الدموع وطورا بلهوي أسر النفوسا
وأقري المسامع إما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

الفينة بعد الفينة
الوقت بعد الوقت

وإن شئت أن أعفي كفي اليراع فساقط درًّا تحلّى الطروسا
وكم ملح لي حلبن العقول وأسأرن في كل قلب رسيسا
وكم مشكلات جلين السهى خفافهن تخال شموسا
وعذراء افتضضت بها فانثنى عليها الثناء طليقا حبيسا
على أنني من زماني خصصت بكيد ولا كيد فرعون موسى
يشبّ لي كل يوم وغى أطامن لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوى ويشبن الرؤوسا
ويدني إلى البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفض الأحزان ولا تلم الزمان واشدد من نقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس فقال دع العناد ولا تهتك الإسناد وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالماء الدرن الأوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذممًا وطلبت إذ طلبت أممًا فهاك ما يشفي النفس وينفي اللبس قال فلما أوضح لي المعمّى وكشف عني العمى شددنا الأكوار وسرنا وسار ولم أزل من مسامرته مدة مسايرته فيما أنساني طعم المشقة وورّدني معه بعد الشقة حتى إذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول أشأم وأعرق وغرّب وشرّق

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت ألا أؤخر الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مأثم الفوات وإذا رافقت في رحلة أو حللت بنحلة مرحب بصوت الداعي إليها واقتديت بمن يحافظ عليها فاتفق

حين دخلت تفليس أن صليت مع زمرة من المفاليس فلما
قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي
اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق
من طينة الحرية وتفوق در العصبية إلا ما تكلف لي
لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل
والرد فعقد له القوم الحبا وأرسوا أمثال الربا فلما
أنس حسن إنصاتهم وركانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار
الرامقة والبصائر الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبي
عن النار الدخان شيب لائح ووهن فادح وداء واضح
والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي
وآل ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت
والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر
والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة

النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن
إلا بعد ما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم أكن
بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعن عودي وقد قوضن مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي وباحت من هصر الإجحاف أغصانه
وأمحلت ربعي حتى خلت من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني جاثرا بائسا أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كان أخا ثروة يسحب في النعمة أردانه
يخبط العافون أوراقه ويحمد السارون نيرانه
فأصبح اليوم كأن لم يكن أعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه ما يرى من ضر شيخ دهره خانه

فيفرج الهم الذي همه ويصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة الى ان تستنبئه لتستنجث خبائه وتستنفض جعبته فقالت له قد عرفنا قدر نيلك ورأينا در سيلك فعرفنا دوحة شعبك واجتن اللثام عن نسبك فاعرض اعراض من مني بالاعنات او بشر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتأفف من تعكس المروات ثم انشد بلفظ صادع وجنان جازع

لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذيذ على اصله

فكل ما حلا حين تؤتى به ولا تسأل الشهد عن نحله

وميز اذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خله

لتغلو وتخبر عن خبرة وتشري ولا تشري بمثله

فعار على الفطن الالمعي دخول الغميزة في عقله

قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم

بحسن اداته مع رداءته حتى جمعوا له حبا بالخبن وخفايا الثبن وقالوا له يا هذا انك حمت على ركية بكية وتعرضت لحلبة خلية فخذ هذه الصبابة وهبها لا حظا ولا اصابة فنزل فلهم منزلة الكثر ووصل قبوله بالشكر ثم تولى يجر شقه ويسحب بالخبط طرفه قال المخبر بهذه الحكاية فصور لي انه مجمل الحيلة متصنع في مشيته فنهضت انهج منهاجه واقفوا ادراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى اذا خلا الطريق وامكن التحقيق نظر الي نظر من هش وبش وماحض بعد ما غش وقال اني لاخالك اخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو اتاني هذا الرفيق لوافاني التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستلمت

فانبسط ثم ضحك مليّا وتمثّل لي بشرا سويّا فاذا هو شيخنا
السروجي لا قلبة بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت
بلقيته وكذبت لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته
فاستخفّاه وانشد قبل ان الحاه

ظهرت برثّ لكيما يقال فقير يرجّي الزمان المرجّا
وأظهرت للناس أن قد فلجت فكم نال قلبي به ما ترجّا
ولولا الرثاثة لم يرث لي ولولا التفالج لم الق فلجا

ثم قال انه لم يبق لهذه الارض مرتع ولا في اهلها
مطمع فان كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجرّدين
وترافقنا عامين اجردين وكنت على ان اصحبه ما عشت
فأبى الدهر المشتّت

المقامة الرابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد

صحبني غلام كنت ربّيته الى ان بلغ أشدّه وثقّفته حتى
أكمل رشده وكان أنس باخلاقي وخبر مجالب وفاقي
فلم يكن يتخطّى مرامي ولا يخطي في المرامي لا جرم ان قربته
الناطت بصفري وأخلصته لحضري وسفري فألوى به
الدهر المبيد حين ضمّنا زبيد فلمّا انبتّت نأمته وشكلت
تأمّته بقيت عاما لا اسيغ طعاما ولا ارتبع غلاما حتى
ألجأتني شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة
الى ان اعتاض عن الدرّ الخرز وان ادمن هو سواد من عوز
فقصدت من يبيع العبيد وقلت ابغ عبدا يعجب اذا قلّب
ويحمد اذا جرّب وليكن من خرجة الاجناس وأخرجه الى
السوق الافلاس فاهرّ كلّ منهم لمطلبي ووثب وبذل
تحصيله عن كثب ثم دارت لاهله دورها وتقلّبت
كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا سخ لها

رعد فلما رأيت النخاسين ناشبين أو متناشبين علمت أن الشر
كل من خلو يدي وأن لن يحك جلدي مثل ظفري فنضت
مذهب التفويض وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض فإني
لأستعرض الغلمان وأستعرف الأثمان إذ عارضني رجل قد اختطم
بلثام وقبض على يد غلام وقال

من يشتري مني غلاما صنعا ۰ في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نيط به مضطلعا ۰ يشفيك إن قال وإن قلت وعا
وإن تصبك عثرة يقل لعا ۰ وإن تسمه السعي في النار سعا
وإن تصاحبه ولو يوما رعا ۰ وإن تقنعه بظلف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جمعا ۰ ما فاه قط كاذبا ولا ادعا
ولا أجاب مطمعا حين دعا ۰ ولا استجاز نث سر أودعا
وطالما أبدع فيما صنعا ۰ وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا ضنك عيش صدعا ۰ وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم
خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا إن هذا
إلا ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه
بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ولأين لهجته من بهجته
فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة
فضربت عنه صفحا وقلت قبحا لعيك وشقحا فأغار في
الضحك وأنحى بأنغض رأسه إلي وأنشد

يا من تلهب غيظه إذ لم أبح ۰ باسمي له ما هكذا من ينصف
إن كان لا يرضيك إلا كشفه ۰ فأصخ له أنا يوسف أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطا فإن تكن ۰ فطنا عرفت وما إخالك تعرف

قال فسراعني بشعره واستبى لبي سحره حتى
شدهت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق

ولم يكن لي هم الا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن
لأوفيه وكنت أحسب أنه سيشتط شزرا الى ويغلي السيمة
علي فما حلق الى حيث حلقت ولا أعلق بما به أعتلقت بل
قال ان العبد اذا نزر ثمنه وخفت مؤنته تبرك به مولاه
ولم يخف عليه هواه واني لأوثر تحبيب هذا الغلام اليك بأن
أخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم ان شئت واشكر لي ما
حييت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد في الرخيص الحلال
ولم يخطر لي ببال ان كل مرخص غال فلما تحققت الصفقة
وحقت الفرقة همت عينا الغلام ولا همول دمع الغمام ثم
أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الأكرش الجياع
وهل في شرعة الانصاف أني أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

أما جربتني فخبرت مني تصالح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركا لصيد فعدت وفي حبائلي السباع
وورطتني في المصاعب فاستفادت مطاوعة وكان لها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الأيام جرما فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم أو يذاع
فأنى ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت براثنها الضباع
ولم سمحت يمينك بامتهاني وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل منا غابه

نفس الصعداء وبكى حتى ابكى البعداء ثم قال لي اني احل هذا
الغلام محل ولدي ولا امتيزه عن افلاذ كبدي ولولا خلو
مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي الى ان تشيع نعشي
وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين والمؤمن هين لين فهل لك
في تسلية قلبه وتسرية كربه بان تعاهدني على الاقالة فيه
متى استقلت وان لا تستثقلني اذا استقلت ففي الآثار المنتقاة
المتلقنة عن الثقات من اقال نادما بيعته اقاله الله عثرته المروية
قال الحارث بن همام فوعدته وعدا ابرزه الحياء
وفي القلب اشياء فاسندني حينئذ الغلام اليه وقبل ما بين
عينيه وانشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك النفس ما بي من رجا الوجد والاشفاق
فانظر لمدة الفراق ولا انني كايب التلاق
بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله
وولى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما انقطع مدى ميل
فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال اتدري
لم اعولت وعلام عولت قلت اظن فراق مولاك هو الذي
ابكاك فقال انك لفي واد وانا في واد وكم بين مهتم وراد
ثم انشد

لم ابك والله على الف نزح ... ولا على فوت نعيم وفرح
وانما مدمع اجفاني سفح ... على غبي لحظه حين طمح
وربطه حتى تغنى وافتضح ... وضيع المنقوشة البيض لو وضح
وبك اما ناجذ هاتيك الملح ... بانني حر وبيعي لم يبح
اذ كان في يوسف معنى فوضح

قال فتمثلت مقاله في مرآة المداعب ومعرض الملاعب
فتصلب تصلب المحق وتبرأ من طينة الرق فجلنا في

مخاصمة اتصلت بملاكمة وأفضت إلى محاكمة فلما أوضحنا
للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة قال الآن
من أنذر فقد أعذر ومن حذّر كمن بشّر ومن بصّر فما قصّر
وإن فيما شرحتماه لدليلاً على أن هذا الغلام قد نبّهك فما
ارعويت ونصحك فما وعيت فاستمر بلهك واتهمه ولم
نفسك ولا تلمه وحاذر من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فإنه
حرّ الأديم عزيز معرض للتقويم وقد كان أبوه أحضره أمس
قبل أفول الشمس واعترف بأنه فرعه الذي أنشأه وأن لا
وارث له سواه فقلت للقاضي أو تعرف أباه أخزاه الله فقال
وهل يجهل أبو زيد الذي جرحه جبار وعند كل قاض له إجبار
وإخبار فحرقت حينئذ وحوقلت وأففت ولكن حين فات
الوقت وأيقنت أن ثمامة كان شرك مكيدته وبيت
قصيدته فنكست طرفي مما لقيت وآليت أن لا أعامل متلثماً

١٣٩

١٤١

ما بقيت ولم أزل أتأوه لخسر صفقتي وللافتضاح بين
رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي وتبين حرّ
ارتماضي يا هذا أما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم
إليك من أيقظك فاتعظ بما نابك وكاتم أصحابك ما أصابك
وتذكر أبداً ما دهمك لتتقي الذكرى درهمك وتخلق تخلق
من ابتلي فصبر وتجلّت له العبر فاعتبر فودعته لابساً ثوب
الخجل والخزي ساحباً ذيل الغش والغبن ونويت مكاشفة
أبي زيد بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت أتنكب عن ذراه
وأتجنب أن أراه إلى أن غشيني في طريق ضيق فحياني تحية
شيق فما زدت على أن عبست وما بسمت فقال ما بالك
شمخت بأنفك على ألفك فقلت لأنسيت أنك أخلت
وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فأضرط بي متهانيا
ثم أنشد متلافيا

توبتي

يا من بدا أمته صدود وموحش وتجهم
وغدا ينش ملامة ما من دونهن الأسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الأدهم
أقصر فما أنا فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم
هذا وأقسم بالتي يسري إليها المتهم
والطائفين بها وهم شعث النواصي سهم
ما قمت ذا الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت فإن كان اقشعرار إزلك مني وازورارك عني لفرط شفقك على غبر نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطى على جمرتين وإن كنت طويت كشحك وأطعت شحك لتستنفد

ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي قال الحرث ابن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وإن كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلثون

الشيرازية

روى الحرث بن همام قال عرجت في نطوافي بشيراز على نادٍ يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعديه ولا خطت قدمي في تخطيه فعجت إليه لأسبك سر جوهره وأنظر كيف ثمره من زهره فإذا أهله أفراد والعلج إليهم مقاد وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد وأطيب من حلب العناقيد إذ جنف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان طليق وأبان أنه منطيق ثم احتبى حبوة المتندبين وقال اجعلنا اللهم من المهتدين فازدراه

حلبي
...المجاز...
جمع وقيز... وهو أن
ويستقبل القاعد على
قدميه ولم يستو قائما
فبينما
اجعلني

القوم لطمه به ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا ابن أعون
فصل الخطاب ويعدون عودة من الأخطاب وهو لا يقبض
بكلمة ولا يبين عن سمة إلى أن سبر قرائحهم وخبر شمائلهم
وراجحهم فحين استخرج دفائنهم واستفتل كتائبهم قال يا
قوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا
أخلاق وقلتم ما له من خلاق ثم فجر من ينابيع الأدب والنكت
النخب ما جلب بدائع العجب واستوجب أن يكتب بذوب
الذهب فلما خلب كل خلب وقلب لبه كل قلب تحلحل للرحل
وتأهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب
سيله وقالت له قد أريتنا وسم قدحك فخبرنا عن قبضك
ومحلك وطائر مسيك وصباحك فصمت صموت من أفحم ثم أعول
حتى رحم قال الراوي فلما رأيت شبوب أبي زيد ونوره
وأسلوبه المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سهو منه فحياه

وسهو كنه رباه فإذا هو إياه فكتمت سره كما يكتم الدا
الدخيل وسترت مده وإن لم يكن بخيل حتى إذا نزع على عواله
وقد عرف عثوري على أحواله رمقني بعين مضحال ثم طفق ينشد
بلسان متباك

أستغفر الله وأعنو له ... من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس ... ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا ... يطلب مني قودا أو ديه
وكلما استذنبت في قتلها ... أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيها ... وقتلها الأبكار مستشريه
حتى نهاني الشيب أبدا في مفرقي ... عن ركبكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما ... من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا اليوم على ما يرى ... مني ومن حرفتي المكديه
أرب بكرا طال تعنيسها ... وحجبها حتى عن الأهويه

وهي على التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المغنيه
ولبس يكفيني تجهيزها على الرضى بالدون الاهبه
واليد لا تلوي على درهم والارض قفر والسما مصحيه
فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه والقلب من أفكاره المضنيه
ويقتني منّي الثنا الذي يضوع رياه مع الادعيه

قال فلم يبق في الجماعة الا من ربت له كفه واتاح اليه عرفه فلما انجحت بغيته وكملت منيته طفق يثني عليهم بصالح ويشمر عن ساق شارح فتبعته لاستعرف بيت خدره ومن قبل في حدثان امره فكان وشك قيامي مثل له مرامي فازدلف مني وقال افقه عني

قتل مثلي يا صاح مزج المدام ليس قتلي بلهذم وحسام
والتي عنست هي ابنة الكرم لا البكر من بنات الكرام
ولنجهزها الى الكاس والطا س فيا من الذي نرى ومقامي
فتفهم ما قلته وتحكم في التغاضي ان شئت او في الملام

ثم قال انا عبيد وانت رغيد بد وبيننا بون بعيد ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلثون

أخبر الحرث بن همام قال أخذت بملطية مطية البين وحقيبتي ملأى من العين فجعلت هجيراي مذ ألقيت بها عصاي ان أتورد موارد المرح وأتصيد شوارد الملح فلم يفتني بها منتظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مربع حتى اذا لم يبق لي فيها مأرب ولا في الثوا بها مرغب عمدت للانفاق والذهب في ابتياع الاهب فلما أكملت الاعداد وتهيأ الظعن منها أو كاد رأيت تسعة رهط قد تشعبوا اخوة وارتضعوا أبوة ودما بينهم فقد الالحاظ وفكاهتهم حلوة الالفاظ فيجوبهم

طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم وشغفا بممازحتهم لا بوطاحهم
فلما انتظمت عاشرهم واصحبت معاشرهم ألفيتهم أبناء
علات وقرائب فلولا ان لحمة الادب قد ألفت
شملهم لفرقه النسب وشاوت بينهم في الرتب حتى لاحوا
مثل كواكب الجوزاء وكالجملة المتناسبة الاجزاء فابهجني الاهتداء
اليهم واحمدت الطالع الذي اطلعني عليهم وطفقت اقتبس
بقدحي مع قداحهم واستشفي برياحهم لا براحهم حتى
اذ دنا سجون المفاوضة الى التحاجي بالمعاياة كقولك
اذا عنيت به الكرامات ما مثل النوم فات فانشانا نجلو
السهى والقمر ونجتني الشوك والثمر وبينا نحن نقشر القشيب
والرث وننسل السمين والغث طلع علينا شيخ قد ذهب حبره
وسبره وبقي حبره وشبره فمثل مثول من كشع وبنطق
ويلفظ ما نثر الى ان نفض الاكياس وحصحص الباس

فلما رأى إجبال القرائح وإكداء الماتح والمائح جمع
أذياله وولانا قذاله وقال ما كل سوداء تمرة ولا
كل صهباء خمرة فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالأعواد
وضربنا دون وجهه بالاسداد وقلنا له ان دوا الشوق
ان تخاص والا فالقصاص فلا تطمع في ان تخرج
وتبهر الفتق ونشرح فلوى عنانه راجعا وحثم بمكانه
راضيا وقال اما اذا استثرتموني بالبحث فسأحكم حكم
سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية والشمول
الذهبية أنه وضع الاحجية لامتحان الألمعية واستخراج
الخبية الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية
وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط
ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أزل احافظ على
هذه الحدود ولا أميز بين المقبول منها والمردود وقلنا

لقد صدقت فجل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال
افعل لئلا يرتاب المبطلون وتظنوا بي الظنون ثم قابل
ناظورة القوم وقال

يا من شمائله كأنما الفضل وأري الزناد
ماذا يماثل قولي جوع أمد بزاد

ثم صحا إلى الثاني وقال — وأنشد

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ظهر أصابه عين

ثم لحظ الثالث وانشأ يقول — وقال

يا من نتائج فكره مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للذي حاجيت صادق جائزه

ثم انثلع إلى الرابع وقال

أيا مستنبط الغامض من لغز وإضمار

ألا اكشف لي ما مثل تناول ألف دينار

ثم نمى للخامس ببصره وأنشد — وقال

يا أيها الألمعي أخو الذكاء المجلي
ما مثل أهل حلبة بين هيبة وعجل

ثم التفت إلى السادس وقال

يا من يقصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف
ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف اكفف

ثم لحظ السابع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت
بين فما ذاك ذا بيان ما مثل قول الشفيق أقلت

ثم استنصت الثامن وأنشد

يا من حدائق فضله مطلولة الأزهار غضه
ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اختار فضه

ثم عرج الى التاسع ببصره وقال

يا من يشار اليه في القلب الذكي وفي البراعه

أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دس جماعه

قال الراوي فلما انتهى الى هنا تملى وقال

يا من له النكت التي يشجى الخصوم بها وينكت

أنت المبين فقل لنا ما مثل قولي خال اسكت

ثم قال قد أمهلتكم وأمهلتكم وان شئتم أن أعلكم عللتكم قال فألجأنا لاهب الغلل الى استشفاء العلل فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا ممن يسمه في أديمه

ثم كر على الأول وانشد — وقال

يا من اذا اشكل المعمى جلته افكاره اللطيفه

ان قال يوما لك المحاجي خذ ملك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني وقال

يا من بدا بيانه عن فضله مبينا — مجليا

ماذا امثال قولهم حمار وحش زبيا — حلبيا

ثم أوحى الى الثالث بلحظه وانشد — وقال

يا من غدا في فضله وذكائه كالأصمعي

ما مثل قولك للذي حاجيت أنفق تقمع

ثم حملق الى الرابع وقال — وانشد

يا من اذا ما غوص دجا أنار ظلامه

ماذا يماثل قولي استنشر ريح مدامه

ثم أومض الى الخامس وانشا يقول — وقال

يا من تنزه فهمه عن ان يروي او يشككا

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي غط هلكا

ثم أقبل قبل السادس وانشد — وقال

يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله

سار بالليل مدة أي شيء مثاله

ثم نحا ببصره إلى السابع وقال

يا من تحلّى بفهم أقام في الناس سوقه

لك البيان فبيّن ما مثل أحبب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وأنشد

يا من سما ذروة في الفضل فاق كل ذروه

ما مثل قولك أعط ابريقا بلوح بغير عروه

ثم ابتسم إلى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء الثوم ملكي

ثم قبض بجمعه على ردني وقال

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه

ماذا مثال الصفر يحفله بنته ثنيانا انشم به

قال الحارث بن همام فلما أطرنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فإن أنت مننت وإن كتمت غممت فطال بشأو ونفسه وتقلب في عجبه حتى هان بذل الماعون عليه فأقبل بجنبيه على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا أظنكم أنكم تعلمون فأوكوا عليه الأوعية وروضوا به الأندية ثم أخذ في تفسير صقل به الأذهان واستفرغ معه الأردان حتى أضاء الأفهام أنور من الشمس والأكمام كأن لم تغن بالأمس ولما هم بالمغرب سبيل عن المعرب تنفس كما تتنفس الثكول ثم أنشأ يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب

غير أني بسروج مستهام القلب صب

أضنّ

عادت

هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب
وإلى روضتها الغناء دون الروض أصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا أعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد
السروجي الذي أدى ملحة الأحاجي وأخذت أصف لهم
حسن توشيته وانقياد الكلام المشتبه ثم النفث
فإذا به قد طمر ونأى بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر أين سكع
وصقع

تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوع أمد براد فمثله طوامير وأما ظهر أصابته عين
فمثله مطاعين وأما صادف جابرة فمثله الفاصلة وأما
تناول ألف دينار فمثله هادية وأما أهمل حلبة فمثله
الغاشية وأما الكفف أكفف فمثله مهمه وأما
الشفق أقلت فمثله الأخطاد وأما ما أختار فضة

فمثله أباريقه لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها
النبي صلى الله عليه وسلم فقال في الرقة ربع العشر
وأما دس جماعة فمثله طائفة وأما حالي أسكت فمثله
خالصة لأنك إذا ناديت مضافا إلى نفسك جاز لك فيه
حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف هاهنا
حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية وصه بمعنى اسكت
وأما خذ بلك فمثله هاتيك وأما حمار وحش ربا فمثله
فرازين لأن الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد
في جوف الفرا وأما قوله انفق تقمع فمثله منقمع لأن
الأمر من مان يمون من ومضارع قمع تقمع وأما أنشط
ربح مدامة فمثله رحراح لأن الأمر من أسر واح الراحة
رح وأما غط هلكى فمثله صنبور لأن البور هم الهلكى
وفي القرآن وكنتم قوما بورا وأما سار بالليل مدة

فمثله شراحيل وأما أجب فوقه فمثله مقلاع لأن الأمر
من ومق يموق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع إذا
كان جبانا جزوعا وأما أعط إبريقا يلوح بغير عروة فمثله
أسكوب لأن الأوس العطا والأمر منه أس والكوب الإبريق
بغير عروة وأما الثور مثلي فمثله اللآلي لأن اللأى على وزن
الفتى ثور الوحش وأما صفير محفله فمثله مكا شفه
لأن المكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم
عند البيت إلا مكاء وتصدية والأصل في المكا المد لكنه
قصره في هذه الأحجية كما حذف همزة القرا في أحجيته
وكلا الأمرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز

المقامة السابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا
ذو شطاط تخجل الصعدة واشتداد يبذ بنات صعده

فلما رأيت نضرها ورعيت خضرها سألت النجار بن الرواة
عمن يحويه من السراة ومعادن الخيرات لأتخذه جذوة
في الظلمات ونجيا في الظلامات فنعت لي قاضيا رحيب
الباع خصيب الرباع يمتي الشيب والطباع فلم أزل أتقرب
إليه بالإلمام وأتنفق عليه بالإجمام حتى صرت صدى صوته
وسلمان بيته وكنت مع استشار شهده واستشاق نده أشهد
مشاجر الخصوم وأسفر بين المعصوم منهم والموصوم فبينما
القاضي جالس للإسجال في يوم المحفل والاحتفال إذ دخل
شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فنصر الحفل نصر نقاد
ثم زعم أن له خصما غير منقاد فلم يكن إلا كنقض شرارة
أو وحي إشارة حتى أحضر غلام كأنه ضرغام فقال الشيخ
أيد الله القاضي وعصمه من التغاضي إن ابني هذا كالقلم
الرديء والسيف الصدئ يجهل أوصاف الإنصاف ويرضع

أخلاق الخلاف إن أقدمت أحجم وإذا أعربت أعجم وإن
أذكيت أخمد ومتى شوّيت رمّد مع أني كفلته مذ دبّ
إلى أن شبّ ولُطت له ألطف من ربّى وربّ فأكبر القاضي
ما شكا إليه وأطرف به من حواليه ثم قال أشهد أن
العقوق أحد الثكلين ولربّ عقم أقرّ للعين فقال الغلام
وقد أمضّه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل
وملّكهم أعنّة الفصل والفضل إنه ما دعا فظّ إلّا
أمنت ولا ادّعى إلّا آمنت ولا لبّى إلّا وأحرمت ولا أورى
إلّا وأضرمت بيد أنه كمن يبغي بيض الأنوق ويطلب الطِّرق
من النوق فقال له القاضي وبما أعنتك وامتحن طاعتك
قال إنه مذ صفِر من المال ومُني بالإمحال يسومني أن ألتمظ
بالسؤال وأستمطر سُحُب النوال ليفيض شربه الذي غاض
ويُجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين أخذني بالدرس

وعلّمني أدب النفس أشرب قلبي أن الحرص متعبة والطمع
معتبة والشَّرَه منقصة والمسألة ملامة ثم أنشدني
من فَلَق فيه ونحت قوافيه

ارضَ بأدنى العيش واشكر عليه شكر من القُلُّ كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحطّ قدر المثرا في اليه
وحامِ عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة صبر أولي العزم وأغضِ عليه
ولا ترق ماء المحيّا ولو خوّلك المسؤول ما في يديه
فالحرّ من إن قذيت عينه أغضى فذي جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه لم يرض أن يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ والفه وابذعر على ابنه وهرّ وقال
له صه يا عقق يا من هو الشجى والشرق ويلك أتعلم أمثل الضلع
وطرائق الارضاع لقد تحكّكت العقرب بالافعى واستنّت

الفصال حتى الفرعي ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه
وجنت المقة على تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وخفض
له جناح ملاطف وقال ويك يا بني إن من أمر بالقناعه
وزجر عن الضراعة هم أرباب البضاعة وأولو المكسبه
بالصناعة فأما ذوو الضرورات فقد سوّغوا في المحظورات
وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك ما قبل البيت
الذي عارض أباه فيما قال وما جاراه

لا تقعدن على ضر ومسغبة ... لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل أرض معطلة ... من النبات كأرض حفها الشجر
وعد عما يشير الأغبياء به ... فأي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ... إلى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فإن ... بلت يداك به فليهنك الظفر
وإن رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحليه
بما ليس من أهله نظر اليه بعين غضبى وقال أيهما
من ... وفيه سببا أخرى أف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما
تتلون الغول فقال الغلام والذي جعلكم مفتاحا للحق
وفتاحا بين الخلق لقد أنسيت مذ أسيت وصدئ ذهني
مذ تصديت على أنه ابن لباب الفتح والعطاء السمح وهل يفي
من يتبرع بالكلم وإذا استطعم يقول هاه فقال له القاضي
مه فمع الخواطر سهم صائب وما كل برق خالب يميز البروق
إذا شيمت ولا تشهد إلا بما علمت فلما تبين للشيخ أن القاضي قد
غضب للكرام وأعظم تبخيل جميع الأنام علم أنه سينتصر لكلمته
ويظهر أكرومته فما كذب أن نصب شكيته وشكى
في الحي سكنه وأنشأ يقول

يا أيها القاضي الذي علمه ... وحلمه أرسخ من رضوى

فقد ادّعى هذا على جهله ان ليس في الدنيا اخو جدوى

وما درى انك من معشرٍ عطاؤهم كالمنّ والسلوى

فجُد بما يشبهه مستخِرًا بأنما افترى من كذب الدعوى

وانثنِ جذلان أشبه يمًّا او ليثَ من جدوى ومن عدوى

قال فهشّ القاضي لقوله واجزل له من طوله

ثم لفت وجهه الى الغلام وقد نصّل له اسهم الملام وقال له

ارايت بطلان زعمك وخطأ وهمك فلا تعجل بعدها بذمّ ولا

تنحُ عودًا قبل عجم واياك وتأبيك عن مطاوعة ابيك فانك

ان عققته حاق بك منه ما استخفّه وسُقط الفتى

في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض يحفد وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه او ضاره دهره فليقصد القاضي في صعده

سماحه أزرى بمن قبله وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى

ان احرورق للمسيرة فاجبت النفس عند ذلك باتباعه

ولو الى بياعه لعلي اظهر على اسراره واعرف شجرة نجاره

فنبذت العلق وانطلقت حين انطلق ولم ازل اخطو عقيبه

وبعد واقترب الى ان تراءى الشخصان وحق التعارف على

الخلصان فابدى الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من

كاذب اخاه فلا عاش فعرفت عند ذلك انه السروجي

بلا مخاله ولا حؤول حاله واسرعت اليه لاصافحه واستعرف

سانحه وبارحه فقال دونك ابن اخيك البرّ وكني

ومرّ فلم يعد الفتى ان افترّ ثم فرّا فقعدت وقد استثبت

عينهما ولكن اين هما

المقامة الثامنة والثلثون المروية

حكى الحرث بن همام قال حبّب الى مذ سعت قدمي

ونفث قلمي ان اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة

فكنت انقب عن اخباره وخزنه اسراره فاذا الفيت منهم
بغية الملتمس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكوة
كنزه على اني لم آل وسعا في اعزازه التحبب ووضع
الهنا مواضع النقب الا انه كان اسير من المثل واسرع
من القمر في التنقل وكنت اهوي ملاقاته واستحسان
مقاماته ارغب في الاغتراب واستعذب السفر الذي
هو قطعة من العذاب فلما انتهت الى مرو ولا غرو وبشرني
بملقاه زجر الطير والفال الذي هو مبتدأ الخبر فلم ازل
انشده في المحافل وعند تلقي القوافل فلا اجد عنه مخبرا
ولا ارى له اثرا ولا عثيرا حتى غلب الياس الطمع وانزوى
التامل وانقمع فاني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن
جمع الفضل والسرو اذ طلع ابو زيد في خلق مملاق وخلق
ملاق فحيا الوالي تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال

له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم ان من عرفت به الاعمال
اعلقت به الآمال ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه
الحاجات وان السعيد من اذا قدر وواتاه القدر
ادى زكوة النعم كما يؤدي زكوة النعم والتزم لاهل
الحرم كما يلتزم للاهل والحرم وقد اصبحت بحمد الله عميد
مصرك وعماد عصرك ترجى الركائب الى حرمك وترجي
الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل
الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما
ثم اني شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب
فقصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة امل من بحرك
دفعة ومن جاهك رفعة والتأمل افضل وسائل السائل
ونائل النائل فاوجب لي ما يجب عليك واحسن كما
احسن الله اليك واياك ان تلوي عذارك عمن ازدارك

وأمّ دارك أو نبغض راحل عمن أمنا حل وأمنا رشما حل فوالله
ما مجد من حمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من إذا وجد جاد
وإن بدأ بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب الذهب لم يهب
أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطية نفسه
وأحب الوالي أن يعلم هل نطفته تمد أم لقريحته مدد فأطرق
يروي في استنباط نده واستشفاف زنده والتبس على أبي
زيد سر صمته وسبب إرجاء صلته فتنوع غضبا وأنشد
مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته أكان ذا لبسة أم كان سختيتا
وانخ بعرفك من وافاك مختبطا وانعش بعونك من ألفيته ميتا
فخير مال الفتى مال أشاد له ذكرا تناقله الركبان تصويتا
وما على المشتري حمدا بموهبة غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا
لكنه لابتنا المجد جد ومن حب السماح بني للعلى بيتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على أمواله علل يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى يرى مجتديك الجود مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن يستمر به حال فكرهتك الحال لم تشتيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأي ولد الرجل
أنت فنظر إليه عن عرض وأنشد وهو مغض

لا تسأل المرء من أبوه ورز خلاله ثم صله أو فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحله مقعد
الخائن ثم فرض له من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر
ليله فنهض عنه بردن ملآن وقلب جذلان وتبعته حاذيا
حذوه وقافيا خطوه حتى إذا خرج من بابه وفصل عن غابه
قلت له هنيت بما أوتيت وملّيت ما أوليت فأسفر وجهه
وتلألأ وواصل شكر الله تعالى ثم خطر اختيالا وأنشد
ارتجالا

من يكن نال بالحماقة حظا أو سما قدره لطيب الأصول
ففضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال تعسا للمجدب الأدب وطوبى لمن جد فيه
ودأب ثم ودعني وذهب وأودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلثون

حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر إزاري وبقل
عذاري بأن أجوب البراري على ظهور المهاري أنجد طورا
وأسلك تارة غورا حتى قلبت المعالم والمجاهل وبلوت
المنازل والمناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت
السوابق والرواسم فلما مللت الإصحار وقد سنح لي ركب بحار
ملت إلى أخطار التيار واختيار الفلك السيار فنقلت إليه
أساودي واستصحبت زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب
حاذر ناذر عاذل لنفسه وعاذر فلما شرعنا في القلعة
ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا
الليل وأغسى هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم
المزجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا له أقبس نارك
أيها الدليل وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال أتستصحبون
ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل

فأجمعنا على الجنوح اليه والا نتحل بالماعون عليه فلما
استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك
ثم قال انا روينا في الاخبار المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى
ما أخذ على الجهال ان يتعلموا حتى أخذ على العلماء ان يعلموا
وان معي لعوذة عن الانبياء مأخوذة وعندي لكم نصيحة براهينها
صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من شيمي الحرمان فتدبروا
القول وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي
وقال أتدرون ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم
في البحر والجنة من الغم اذا جاش موج اليم وبها استعصم
نوح يوم الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدعت
به آي القرآن ثم قرأ بعد اساطير تلاها وزخارف جلاها
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس
المغرمين أو عباد الله المكرمين وقال اما انا فقد

قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت
بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين
قال الحارث بن همام فأعجبنا بانه البادي الطلاوة
وعجت له أصواتنا بالتلاوة وأنس قلبي من جرسه بمعرفة
عين شمسه فقلت له بالذي سخر البحر اللجي ألست السروجي
فقال لي بلى وهل يخفى ابن جلا فأحمدت حينئذ السفر وسفرت
عن نفسي اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش
صفو والزمان لهو الى ان عصفت الجنوب وعسفت الجنوب
ونسي السفر وانا اجد بلقيانه وجد المثري بعقيانه وافرح
بمناجاته فرح الغريق بنجاته ما كان وجاءهم الموج من كل
مكان فملنا لهذا الحدث الثائر الى احدى الجزائر لنتزح
ونستريح ريثما تؤاتي الريح وتمادى اعتياص المسير حتى نفد
الزاد غير اليسير فقال لي ابو زيد انه لن تزحزحني العود

بالقعود فهل لك في استثارة السعود بالصعود فقلت إني
لك لأتبع من ظلك وأطوع من نعلك فنهدنا إلى الجزيرة
على ضعف من المريرة لنرتاض في إمارة الإمرة وكلانا لا
يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا فأقبلنا نجوس خلالها
ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى قصر مشيد له باب من
حديد ودونه زمر من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما إلى
الارتقاء وأرشية للاستقاء فألفينا كلا منهم مسك كبر
وكبر أشر فقلنا أيتها الغلمة ما هذه الغمة فلم يحيروا النداء
ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار الحباحب وخبرهم
كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه
فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا
توسعونا سبا ولا تجرعونا غبا فإنا لفي حزن شامل وشغل عن
الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناقك لب وانفث

إن قدرت على النفث فإنك ستجد مني عرافا كافيا وواصفا
شافيا فقال اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة
وشاه هذه الرقعة إلا أنه لم يخل من كمد الخلوة من ولد
ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير من المفارش النفائس
إلى أن بشر بحمل عقيلته وآذنت رقلته بفسيلته فنذرت
له النذور وأحصيت الأيام والشهور ولما آن النتاج
وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على
الأصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم إلا
غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الاسترجاع وطول
فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وأبشر بالفرج
وبشر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر صيتها في الخلق فبادرت
الغلمة إلى مولاهم متباشرين باختلاف بلواهم فلم يكن إلا
كلا ولا حتى برز من هلم بنا إليه فلما دخلنا عليه وسلمنا

بين يديه فقال لأبي زيد ليهنك مناك إن صدق مقالك
ولم يفل فالك فاستحضر قلما مبريا وزبدا بحريا وزعفرانا
قد ديف في ماء ورد نظيف فما إن رجع النفس حتى احضر
ما التمس فسجد أبو زيد وعفر وسبح واستغفر ثم أخذ القلم
واجحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر

أيهذا الجنين إني نصيح لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكن كنين وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من إلف مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت إلى المنزل الأذى والهون
وتراءى لك الشقا الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر أن تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين

سابع عشره

ثم إنه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه ما به تفله وشد
الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمخها بعبير وأمر بتعليقها على
فخذ الماخض وأن لا تعلق بها يد حائض فلم يك إلا كذواق
شارب أو فواق حالب حتى اندلق شخص الولد الحصيف الزند
بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبورا واستطير
عميده وعبيده سرورا وأحاطت الجماعة بأبي زيد تثني عليه
وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمره حتى خيل إلي أنه القرني
أويس أو الأسدي دبيس ثم انثال عليه من جوائز المجازاة وصلات
الصلات ما فاض له الغنى وابيض وجه المنى ولم يخل ينتابه الدخل
منذ نتج السخل إلى أن أعطي البحر الأمان ونشئ الإئتمام إلى عمان
فاكتفى أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته
بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه إلى خزانته وأن تطلق يده
في خزانته قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال

إلى حيث يحسب المال أكببت عليه بالتعنيف وهجّنت له
مفارقة المألف والأليف فقال إليك عني واسمع مني

لا تصبونّ إلى وطنٍ فيه تُضام وتُمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب إلى كنٍّ يقي ولو انه حضنا حضن
وارب بنفسك أن تقيم بحيث يغشاك الدرن
وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن
واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن
كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما أسمعت وحبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيري وقلت له عذيري فعذر واعتذر وزوّدني لما نبذ ثم شيّعني تشييع الأقارب إلى أن كنت في القارب فودّعته وأنا أشكو الفراق وأذمّه وأودّ لو كان هلك الحنين وأمّه

المقامة الأربعون

التبريزية

أخبر الحارث بن همّام قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا أنا في إعداد الأهبة وارتياد الصحبة لقيت أبا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه وإلى أين يسرب مع سربه فأومأ إلى امرأة منهنّ باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوّجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فأنا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم فإن انتظم بيننا الوفاق وإلا فالطلاق والانطلاق قال فملت إلى أن أخبر لمن الغلب

وكيف يكون المنقلب وقد جعلت شغلي دبر أذني وصحبتها وإن
كنت لا أغني فلما أحضر القاضي وكان ممن يرى فضل
الأمثال ويتضرى بشفاء السؤال جثا أبو زيد بين يديه وقال
أيد الله القاضي وأحسن إليه إن مطيتي هذه أبية القياد كثيرة
الشراد مع أني أطوع لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها
فقال لها القاضي ويحك أما علمت أن النشوز يغضب الرب
ويوجب الضرب فقالت إنه ممن يدور خلف الدار ويأخذ
الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك أتبذر في السباخ
وتستفرخ حيث لا أفراخ اغرب عني لا نعم عوفك ولا أمن
خوفك فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح لأكذب من سجاح
فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة أكذب
من أبي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ
واستشاط استشاطة المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار

يا فجار يا غصة البعل والجار أتهمدين في الخلوة لتعذيبي
وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت أني حين بنيت عليك
ورنوت إليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن
من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة
وأبرز من قشرة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من
دجلة فسترت عوارك ولم أبد عارك على أنه لو حبتك شيرين
بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزباء
بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء بشعرها
لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي وطروقة فحلي فتذمرت
المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا
ألأم من مادر وأشأم من قاشر وأجبن من صافر وأطيش من
طامر أترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك وأنت تعلم أنك
أحقر من قلامة وأعيب من بغلة أبي دلامة وأفضح من حبقة

في خلقه وأحير من بقة في حقه وهبنك الحسن في لفظه
ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه
ونحوه وجريرا في غزله وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته
وعبد الحميد في بلاغته وكتابته وأبا عمرو في قراءته
وإعرابه وابن قريب في روايته عن أعرابه أتظنني أرضاك
إماما لجامعي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي
ولا عصا لجرابي فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة
وحدأة وبندقة فاترك أيها الرجل اللدد واسلك في سبيلك
الجدد وأما أنت فكفي عن سبابه وقري إذا أتى البيت من
بابه فقالت المرأة والله ما أسجح عنه لساني إلا إذا كساني
ولا أرفع له شراعي دون إشباعي فحلف أبو زيد بالمحرجات
والثلاث أنه لا يملك سوى أطماره الرثاث فنظر القاضي في
قصصهما نظر الألمعي وأفكر فكرة اللوذعي ثم أقبل

عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال ألم يكفكما
التشاتم في مجلس الحكم والإقدام على هذا الجرم حتى ترقيتما
من فحش المقاذعة إلى خبث المخادعة وايم الله لقد أخطأت
استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فإن أمير المؤمنين
أعز الله ببقائه الدين نصبني لأقضي بين الخصما لا لأقضي دين
الغرما ووحق نعمته التي أحلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل
لئن لم توضحا لي جلية خطبكما وخبية خبكما لأنددن بكما في الأمصار
ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع
ثم قال له سمع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافى أنسها وأنسي ... ولا نأى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي أرض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي

حتى كأنّا لخفوتِ الأنفسِ ... أشباحُ موتى نُشِروا من مرمسِ

فحين عزّ الصبرُ والتأسّي ... وشفّنا الضرُّ الأليمُ المسِّ

قمنا بسعدِ الجدّ أو بالنحسِ ... هذا المقامَ لاجتلابِ فَلْسِ

والفقرُ يلحي الحرَّ حين يُرسي ... إلى التحلّي في لباسِ اللبسِ

فهذه حالي وهذا درسي ... فانظرْ إلى يومي وسلْ عن أمسي

وأمرُ مجري إن تشأ وحبسي ... ففي يديك صحّتي ونُكسي

فقال له القاضي ليثبت نُسُكُك ولتطبْ نفسُك فقد حقّ لك أن تغفر خطيئتك وتوفّر عطيّتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهلَ تبريزَ لكم حاكمٌ ... أوفى على الحكّام تبريزا

ما فيه من عيبٍ سوى أنّه ... يومَ الندى قسمتُه ضيزى

قصدتُه والشيخُ نبغي جدى ... عودٍ له ما زال مهزوزا

فسرّح الشيخَ وقد نال من ... جدواه تخصيصاً وتمييزا

وردّني أخيبَ من شائمٍ ... برقاً خفا في شهر تمّوزا

كأنّه لم يدرِ أنّي التي ... تُلقّن الشيخَ الأراجيزا

وأنّني إن شئتُ غادرتُه ... أضحوكةً في أهل تبريزا

قال فلمّا رأى القاضي جراءتهما وانصلات لسانيهما علم أنّه قد مُني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وأنّه متى منح أحد الزوجين وصرف الآخر أصفر اليدين كان كمن قضى الدَّين بالدَّين أو صلّى المغرب ركعتين فطلّس وطرسم واقرنبط وبرطم وهمهم وغمغم ثمّ التفت يمنةً وشامةً وتململ كآبةً وندامةً وأخذ يذمّ القضاء ومتاعبه ويعدّد شوائبه ونوائبه ويفنّد طالبه وخاطبه ثمّ تنفّس كما يتنفّس الحبيب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال إنّ هذا لشيءٌ عجيب أأُرشق في موقفٍ بسهمين أأُلزم في قضيّةٍ بغرمين أنّى أطيق أن أرضي الخصمين ومن أين ومن أين ثمّ عطف إلى حاجبه

المنقذ لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضا وفصل وامضا
هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاغتنام هذا يوم البحران
هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم تصاب فيه
ولا تصيب فأرحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما بدينارين
ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب وأشاع أنه يوم مذموم وأن
القاضي فيه مهموم لئلا يحضر في خصوم قال فأمن الحاجب
على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه
المثقالين وقال أشهد أنكما لأجل الثقلين لكن احترما
مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض
قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الأراجيز فقالا له مثلك
من حجب وشكر فقد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين
وأصليا قلب القاضي نارين تفسير ما تضمنته المقامة
من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية قوله

لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من
الأمر الذي يزاوله كما أن حامل القربة يلقى جهدا حتى
يعرق وقوله جعلته دبر أذني يعني اطرحته وهو كقوله
تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله أكذب من سجاح
يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه
لتناظره وتخبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا
الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الأسماء
المعدول به واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه
قولهم ملكت فأسجح وقوله أكذب من أبي ثمامة هذه كنية
مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها
إلى أن سار إليه خالد بن الوليد وقتله وقوله لا نعم عوفك
العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعا للباني على أهله
فيقال له نعم عوفك وقوله يا دفار يا فجار هذان

الاسمان معدولان عن دفرة وفاجرة وان الدفر النتن وبه
سميت الدنيا أم دفر وكلما سمي بصفة غالبة ثم عدل
بها الى فعال بني على الكسر عند أهل الحجاز كقولك يا لكاع
يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في
غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع

وأما قوله أحمق من رجلة فهي ضرب من الحمض ينبت في
مجاري السيل فيجترفها وأما قولها ألأم من مادر فهو رجل من
بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا ليسقي ابله فلما رويت
سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده وأما قولها
أشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد
مناة ما طرق ابلا الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب
وسمي قاشرا لقشره وجه الأرض من النبات وأما قولها

أجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم
عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة
ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل انه طائر
بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر
طول ليلته خوفا من أن ينام فيؤخذ وقيل انه الذي
يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر
على أمره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي
ينذر بالصفير فعلى هذا القول فاعل هاهنا بمعنى مفعول
كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق وكقولهم
راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول
بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا
وكقوله تعالى انه كان وعده مأتيا وأما قولها أطيش
من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة

وثوبه وأما قول القاضي أرادكما شنًّا وطبقة وجداه
وبندقه فإنه أراد به أن كلًّا منكما كقول صاحبه ومقاوم
له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة
فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال
الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمي بن
جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت
وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها
وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم
نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في
ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما
السير قال له شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل
هل يحمل الراكب الراكب فأمسك وساراحتى أتيا على زرع
فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له الرجل

يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما
جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيًّا فقال له ما رأيت ام لا
أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبر حيًّا ثم إنهما وصلا إلى
قرية الرجل فصار به إلى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ
يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا
استفهمك إلا عما يستفهم عن مثله أما قوله أتحملني أم أحملك
فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث
وأما قوله أترى هذا الزرع أكل فإنه أراد هل استلف
ربه ثمنه وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة ام لا
فإنه أراد به أخلف عقبا يحيا به ذكره أم لا فلما
خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه
فزوجه إياها فلما سار بها إلى قومه وخبروا ما فيها من
الدهاء والذكاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت

مثلًا وحُكي أنّ الأصمعي سُئل عن هذا المثل فقال
أظنّ البشر وعامر أدم كان قد استنشن فلمّا انحلّ له
غطاؤه افقه ضرب فيه هذا المثل وأمّا جداء وبندقة
فإنّه يقال في المثل المضروب لمن يفرع بعدوّه أو يبلى
بنظيره جداءً جداءً أو رآل بندقة وكان الأصل جداءة بإثبات
الهاء فرخّم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل هما الطائر
المعروف وبندقة الرامي وقيل إنّهما قبيلتان من سعد العشيرة
فأغارت جداءة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت
تنزل باليمن فنالت منهم ثمّ كرّت بندقة على جداءة فأبحت عليهم
وروى بعضهم هذا المثل جدا جدا غير مهموز على مثال
عصا وقفا وزعم أنّه اسم قبيلة وأمّا قوله أخطأت
استك الحفرة فإنّه مثل يضرب لمن يخطئ في مقصده
ويضع الشيء في غير موضعه وأمّا قوله طلّسم وطرسم

فمعنى طلّسم ذرّة وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله
اخرنطم وبرطم أي غضب وقطّب وقيل معنى اخرنطم غضب
مع تكبّر ومعنى برطم غضب مع تعبّس وقوله
همهم وغمغم أي لم يبيّن الكلام

المقامة الحادية والأربعون

التنيسية

أخبر الحارث بن همّام قال أطعت دواعي التصابي
في غلواء شبابي فلم أزل زيرًا للغيد وأذنًا للأغاريد
إلى أن وافى النذير وولّى العيش النضير فقمت إلى رشد
الانتباه وندمت على ما فرطت في جنب الله ثمّ أخذت في
كسع الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات
فملت عن مغاداة الغادات إلى ملاقاة التقاة وعن
مفاناة القينات إلى معاناة أهل الديانات وآليت ألّا
أصحب إلّا من نزع عن الغيّ وقام نشره إلى الطيّ وإن

ألفيت من هو خليع الرسن مديد الوسن أنأيت داري عن
داره وقربت من عره وعاره فلما ألفتني الغربة بتنيس
وأحلتني مسجدها الأنيس رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة
مزدحمة وهو يقول بجأش متين ولسان مبين مسكين ابن
آدم وأي مسكين ركن من الدنيا إلى غير ركين واستعصم
منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها
لغباوته ويكلب عليها لشقاوته ويعتد فيها بمفاخرته
ولا يتزود منها لآخرته أقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين
ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو افتكر فيما قدم
لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر
في المآل لحسن قبح الأعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات
اللهب في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من
البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك

بالمغيب ولست ترى أن تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع
ينشد إنشاد من يرشد

يا ويح من أنذره شيبه ... وهو على غي الصبى منكمش
يعشو إلى نار الهوى بعدما ... أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده ... أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى ... نجومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى ... عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك إن مات فسحقا له ... وإن يعش عد كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره ... كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب ... يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه ... هلكت يا مسكين أو تنتقش
فأخلص التوبة تطمس بها ... من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضى ... ودار من طاش ومن لم يطش

وَرِشْ جَناحَ الحُرِّ انْ حَصَّهُ زَمانُهُ لا كانَ مَنْ لَمْ يَرِشْ
وَأَنْجِدِ المَوْتُورَ ظُلْماً فانْ عُجِّزْتَ عَنِ النَّجْدَةِ فاسْتَجِشْ
وانْعَشْ اذا ناداكَ ذو كَبْوَةٍ عَساكَ في الحَشْرِ بهِ تَنْتَعِشْ
وهاكَ كاسَ النُّصْحِ فاشْرَبْ وجُدْ بفَضْلَةِ الكاسِ على مَنْ عَطِشْ

قال فلمّا فرغ من ميدانه وقضى انشاد ابياته نهض صبيٌّ قد شَدَنْ واعْرَى البَدَنْ وقال يا ذوي الحَصاةِ والانْصاتِ الى الوَصاةِ قد وعيتم الانشاد وفقهتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل ويصلح المستقبل فليبرّ بي عن نيّته ولا يبعد عنّي بعطيّته فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سرّي لكما ترون وان وجهي ليستوجب الصون فاعينوني رزقتم العون قال واخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويستنّي له المطلوب حتّى انبط جفره واعشوشب قفره فلمّا آن انتزاع الكيس انصلت يميس وتحمحم تنبّس ولم يحل للشيخ

المقام بعدما انصاع الغلام فاستُرفِع الايدي للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء قال الراوي فارتخت الى ان اعجمه واجلّ مترجمه فتبعته وهو يشتدّ في سمته ولا يفتق رتق صمته فلمّا أمن المفاجي وامكن التناجي لفت جيده اليّ وسلّم تسليم البشاشة عليّ ثمّ قال ارأفك ذكاء ذلك الشويدن فقلت اي والمؤمن المهيمن فقال انّه فتى السروجي ومخرج الدرّ من اللجّي فقلت اشهد انّك لشجرة ثمرته وشواظ شرارته فصدّق فراستي واستحسن ابانتي ثمّ قال هل لك في ابتدار البيت لنتنازع كاس الكميت فقلت له ويحك اتأمرون الناس بالبرّ وتنسون انفسكم فافترّ افترار متضاحك ومرّ غير ماحك ثمّ بدا له ان تراجع اليّ وقال احفظها عنّي وعي

اصرف بصرف الراح عنك الاسى وروّح القلب ولا تكتئب

وقل لمن لام لم فيما به تدفع عنك الألم فذلك أنبت
ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق
وإذا كنت لا تصحب ولا يلائم من يطرب فلست لي برفيق ولا
طريقك لي بطريق فخل سبيلي ونكب ولا تنفر عني ولا تنقب
ثم ولى مدبرا ولم يعقب قال الحارث بن همام فالتهبت
وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم ألاقه

المقامة الثانية والأربعون

في الالغاز

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى
ومساري الهوى إلى أن صرت ابن كل تربة وأخا كل
غربة إلا أنني لم أكن أقطع واديا ولا أشهد ناديا إلا لاقتباس
الأدب المسلي عن الأشجان المغلي قيمة الإنسان حتى عرفت
إلى هذه الشنشنة وتناقلتها عني الألسنة وصارت
أعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل أبي صفرة

فلما ألقيت بنجران جراني واصطفيت بها الخلان
والجيران تخذت أنديتها معتمري وموسمي وفكاهتي وسمري
وكنت أتعهدها صباح مساء وأظهر فيها على ما سر وساء
فبينما أنا في نادٍ محشود ومحفل مشهود إذ جثم لدينا هم
عليه هدم فحيا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال
يا بدور المحافل وبحور النوافل قد تبين الصبح لذي عينين وناب
العيان مناب عدلين فماذا ترون فيما تزورون أتحسنون
العون أم تنأون إذ تدعون فقالوا له تالله لقد غظت
ورمت أن تنبسط فغضضت فناشدهم الله عما أصدهم حتى
استوجب ردهم فقالوا إنا كنا نتناضل بالألغاز كما يتناضل
يوم البراز فلما ألان شعب من المنصول وألحق هذا الفضل
بنمط الفضول فلسنة لسن القوم ووخزوه بأسنة اللوم
وأخذ هو يتنصل من هفوته ويتململ على فوهته وهم مضبون

على مؤاخذته ومُلبّون داعي منابذته الى ان قال لهم يا
قوم ان الاحتمال من كرم الطبع فعدّوا عن اللذع والقذع
ثم هلمّ الى ان تلغز وتحكم المبرز فسكن عند ذلك توقدهم
وانحلّت عُقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا
ان يكون اوّلهم فلمسك ريثما يعقد شسعا او يشدّ نسعا
ثم قال اسمعوا وُقيتم الطيش ولُقّيتم العيش وانشد ملغزا
في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ويبدو اذا ولّى المصيف نحولها

ثم قال وها لكم يا اولي الفضل ومراكز العقل
وانشد ملغزا في جابول النخل

ومنتسب الى ام تنشّا اصله منها
يعانقها وقد كانت نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني فلا يلحى ولا ينهى

ثم قال ودونكم الخفية العلم المعلمة الظلم
وانشد ملغزا في القلم

ومأموم به عُرف الامام كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صادٍ ويسكن حين يعروه الاوام
ويذري حين يستسقي دموعا يرقرقها بروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل
وانشد ملغزا في الميل

وما ناكح اختين جهرا وخفية وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه وان مال بعل لم يجدها يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب معيار الآداب

وانشد ملغزا في الدولاب

وجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ ليس بالجافي

غريبٌ بارزٌ فاعجب له من راسبٍ طافِ

يسحّ دموع مظلومٍ ويهضم هضم متلافِ

ويُخشى منه حدّتُه ولكن قلبه صافِ

قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال يا قوم تدبّروا

هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رائكم وضمّ الذيل

او الازدياد من الكيل فاستغرب القوم شهوة الزيادة

على ما اشربوا من البلادة فقلنا لولا الآن وقوفنا دون حدّك

لنفحمنا عن اشتراء بدل فان تممت عشرا فمن عندك فاهتزّ

اهتزاز من فلج سهمه واخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة

وانشد ملغزا في المرملة

ومشزورة مغمومة طول دهرها وما هي تدري ما السرور ولا الغم

تقرّب احيانا لاجل جنينها وكم ولدٍ لولاه طلّقت الامّ

وتبعد احيانا وما حال عهدها وابعاد من لم يستحل عهده ظلم

اذا قصر الليل استلذّ وصالها وان طال فالاعراض عن وصلها نعم

لها ملبس بادٍ انيق مبطّن بما يزدري لكن لما يزدري الحلم

ثم كشّر عن انيابه الصفر وانشد ملغزا في الظفر

ومرهوب الشبا نامٍ وما يرعى ولا يشرب

يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم نخر نخار العفريت وانشد ملغزا في طاقة الكبريت

وما مخفونة تدني وتقصي وما منها اذا افكرت بدّ

لها راسان مشتبهان جدّا وكلّ منهما للآخر ضدّ

تعذّب ان هما خضبا وتلغى اذا عدما الخضاب ولا تعدّ

ثم تخمّط تخمّط الفهم وانشد ملغزا في حلب الكرم

وما شيء اذا فسدا تحوّل غيّه رشدا

وإن هو راق أوصافا فآثار الشيب حيث بدا
زرى العرق والله ولكن يسرّ ما قد لدا

ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزا في الطيار

وذي طيشة شقه مائل وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق علية كما يعتلي الملك العادل
تساوى لديه الحصى والنضار وما يستوي الحق والباطل
وأعجب أوصافه إن نظرت كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما وقد علموا أنه مائل

قال فظلت الأفكار تهيم في أودية الأوهام وتجول جولان المستهام إلى أن طال الأمد وحصحص الكمد فلما راهم يرددون ولا يستنبطون ويقصون النهار بالمنى قال يا قوم إلام تنظرون وحتام تنظرون أما آن لكم استخراج الخبي أو استسلام الغبي فقالوا له تالله لقد أعوصت ونصبت الشرك فقنصت فحكّمهم كيف شئت وحز الغنم والصيد فقرض عن كل معمّى فرضا واستخلصه منهم نصابا فتح الأقفال ووسم الأغفال وحاول الانجفال فاعتلقوا به مدره القوم وقال له لا لبسته بعد اليوم فاستنسب قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فأطرق حتى قلنا مريب ثم أنشد والدمع يجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وأنسي
لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا أمرّ يومي وأمسي
ما لي مقرّ بأرض ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما بالشام أضحي وأمسي
أزجي الزمان بقوت منغّص مستخسّ
ولا أبيت وعندي فلس ومن لي بفلس

ومن يعش مثل عيشي باع الحيوة ببخس

ثم إنه أخبر بخلاصة النقد وبدر ضاربًا في الأرض فاستدناه أن يعود واستنبنا له الوعود فلا وأبيك ما رجع ولا الترغيب له نجع

المقامة الثالثة والأربعون

أخبر الحرث بن همام قال هفا بي إلف المطوح والسير المبرح إلى أرض يضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الخائف الوحيد ورأيت ما كنت منه أحيد إلا أني شجعت قلبي المزؤود ونشطت نضوي المجهود وسرت سير الضارب بقدحين المستسلم للحين ولم أزل بين وخد وذميل وإجازة ميل بعد ميل إلى أن كادت ذكاء تجب والضياء يحتجب فارتعت لإظلال الظلام وإقحام جيش حام ولم أدر أأكفت الذيل وأرتبط أم أعتمد الليل وأختبط

وبينا أنا أقلب العزم وأستمخض الحزم تراءى لي شبح جمل مستذر بجبل فظننته فعدة مرتحل وقصدته قصد مشيح فإذا الظن لهانة والقعدة عيرانة والمرتحل قد أردم ببجاده واتخذ برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر سراجاه وأحس من فاجأه نفر كما ينفر المريب وقال أخول أم الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فأضئ لي قدح لك فقال ليسر عنك همك فرب أخ لم تلده أمك فانسرى عند ذلك إشفاقي وسري الوسن إلى آماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى ما أرى فقلت إني لك لأطوع من حذائك وأوفق من غذائك فصدع بمحبتي وبجح بصحبتي ثم أحلنا محنين وارتحلنا مصطحبين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى إلى أن بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما أسفر الفاضح

ولم يبن الاوضح توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو
أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين
إذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار
وبعيري يخطو من الكلال وراحلته تزف زفيف الرال فأعجبني
اشتداد اسرها وامتداد صبرها وأخذت استشف جوهرها
واسأله من اين تخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة
انق السياقة فان احببت استماعه فانخ وان لم تشأ فلا
تنخ فأنخت لقوله نضوي وأهدفت السمع لما يروي فقال
اعلم اني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت وما
زلت اجوب عليها البلدان واطس بها الظران الى ان
وجدتها غير اشفاد وعدة فرار لا يلحقها العنا ولا تواهقها
وجنا ولا تدري ما الهنا فارصدتها للخير والشر واحللتها
محل البر السر فاتفق ان ندت منذ مدة ومالي سواها عدة

فاستشعرت الاسف واستشرفت التلف وتشتت كلّ
رز سلف ومكثت ثلثا لا استطيع انبعاثا ولا اطعم
النوم الا حثاثا ثم اخذت في استقراء المسالك وتفقد
المسارح والمبارك وانا لا استنشي منها ريحا ولا استغشي
بارقا ولا اشام مجا وكلما ادكرت مضاها في السير وانبرائها
لمباراة الطير لا عني الادكار واشغلني الافكار فبينما
انا في جو ابعض الاحيا اذ سمعت من شخص متبعد وصوت منجد
من ضلت له مطية حضرمية وطئة جلدها قد وسم وغرها
قد جشم وزمامها قد ضفر وظهرها كان شبرجرة تريز
الماشية وتعتن الناشبة وتقطع المسافة النائية وتظل
لك ابدا مدامة لا يعتورها الونى ولا يعترضها الوجى
ولا تحوج الى العصا ولا تعصي فيمن عصى قال ابو زيد
فجذبني الصوت الى الصائت وبشرني بدرك الفائت فلما

أفضيت إليه وسلّمت عليه قلت له سلّم المطيّة وتسلّم
العطيّة فقال وما مطيّتك غفرت خطيئتك قلت ناقة
جسمها كالهضبة ودرّها كالقِربة وحلبها ملء العُلبة
ولقد أُعطيت بها عشرين إذ خلتك بشرين فازددت الذي
أعطي ودريت أنه أخطأ قال فأعرض حين سمع صفتي وقال
لست بصاحب لقطتي فأخذت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه
وهممت بنزع جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيّتي بطَلِبتك
فأقصر من غربك وعدّ عن سبّك وإلا فقاضني إلى حَكَم هذا
الحيّ البريء من البغي فإن أوجبها لك فتسلّم وإن زواها عنك
فلا تكلّم فلم أرَ دواء أقضيتي ولا مساغ غصّتي إلا أن آتي
الحَكَم ولو لم فانحدرنا إلى شيخ ركين النَّصبة أنيق العُصبة
يؤنس منه سكون الطائر وأن ليس بالجائر فاندرأت أتظلّم
وأنا ألم وصاحبي مرتم لا يبر مرتم حتى إذا انثلت كنانتي

وقضيت من القصص لبانتي أبرز نعلا رثّة الوزن مجذوّة
لمسلك الحزن وقال هذه التي عرفت وإيّاها وصفت
فإن كانت هي التي أعطي بها عشرين ورها هو من المبصرين
فقد كذب في دعواه وكبّر ما افتراه اللهمّ إلا أن يمدّ
قذاله ويبيّن ما قاله فقال الحكم اللهمّ غفرا وجعل يقلّب
النعل بطنا وظهرا ثم قال أما هذه النعل فنعلي وأما مطيّتك
ففي رحلي فانهض لتسلّم ناقتك وافعل الخير حسب طاقتك
فقمت وقلت

أقسم بالبيت العتيق ذي الحرم ۝ والطائفين العاكفين في الحرم
إنك نعم من إليه يحتكم ۝ وخير قاض في الأعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فأجاب من غير رويّة ولا عقد نيّة وقال
جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم ۝ إذ كنت أستوجب شكر الملتزم

شر الانام من اذا استقضى ظلم ثم ان استرعى فلم يرع الحرم

فلان والكلب سوا في القيم

ثم انه نقد بين يدي من سلم الآفه الفي ولم يمتن على فرحت

اجزل الطرب واقول بالعجب قال الحرث بن همام

فقلت له بالله لقد اطرفت وهرفت بما عرفت فناشدتك الله

هل لقيت اسحر منك بلاغة واحسن للفظ صياغة فقال

اللهم نعم فاسمع وانعم كنت عزمت حين آهمت على ان اتخذ

ظعينة لتكون لي معينة فحين تعين الخطب وكاد الامر

يستتب افدت فكر المتحرز من الوهم المتامل كيف مسقط السهم

وبت ليلتي اناجي القلب المعذب واقلب العزم المذبذب

الى ان اجمعت على ان اسحر واشاور اول من ابصر فلما انفضت

الظلمة اطنابها وولت الشهب اذنابها غدوت غدو

المتعرف وابتكرت ابتكار المتعسف فانبرى لي يافع في وجهه

شافع فتيمنت بمنظره البهيج واستفتحت رايه في التزويج

فقال اوتبغيها عوانا ام بكرا ام اتعاني فقلت اختر لي ما ترى

فقد القيت اليك العرى فقال اليك التبيين وعليك التعيين

فاسمع انا افديك بعد ذلك فمن اعاديك اما البكر فالدرة

المخزونة والبيضة المكنونة والباكورة الجنية والسلافة

الهنية والروضة الانف والطوق الذي ثمن وشرف

لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث

ولا وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي

واللسان العيي والقلب النقي ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة

المداعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح

الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب واما

الثيب فالمطية المذللة واللهنة المعجلة والبغية

المسهلة والطبة المعللة والقرينة المتحببة والحليلة

المتقربة والصناع المدبرة والفطنة المختبرة ثم انها عجالة
الراكب وانشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز
عريكتها لينة وعقلتها هينة ودخلتها متبينة وخدمتها
مزينة واقسم لقد صدقت في النعتين وجليت المهاتين
فبأيهما هام قلبك وعلى ايهما قام زنبك قال ابو زيد
وانبأته جندلة تشبها المراجم وتدمى منها المحاجم الا اني قلت
له كنت سمعت ان البكر اشد حبا واقل خبا فقال لعمري
قيل هذا ولكن كم قول آذى ويحك اما هي المهرة الابية العنان
والمطية البطية الاذعان والزندة المتعسرة الاقتداح
والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤونتها كثيرة
ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالتها مكلفة ويدها
خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفي
رياضتها عناء وعلى خبرتها غطاء وطالما اخزت المنازل وفركت

المغازل واحنقت الهازل واضرعت لغنيق البازل ثم انها
التي تقول انا البس واجلس فاطلب من يطلق ويحبس فقلت
له فما ترى في الثيب يا ابا الطيب فقال ويحك اترغب في
فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبذل والوعاء
المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح
المتسلطة والمحتكرة المتسخطة ثم كلمتها كنت وصرت
وطالما بغي علي فنصرت وشتان بين اليوم وامس وهيهات
اين القمر من الشمس وان كانت الحنانة البرول والطامحة مثل
الهلول فهي الغل القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له فهل
ترى ان اترهب واسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار
المؤدب عند زلة المتادب ثم قال ويلك اتقتدي بالرهبان
والحق قد استبان اف لك ولوهن رايك وتبا لك ولاولئك
اراك ما سمعت بان لا رهبانية في الاسلام ولا حدث

بما تنبئك عليه أزكى السلام ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة
ترب بيتك وتلبي صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك
وبها ترى قرة عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وخلد
ذكرك وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين
ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين
والله لقد ساءني فيك ما سمعت من قبك ثم أعرض إعراض
المغضب وتنزّى نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطق
مبتجرا أو تدعي متجرا فقال أظنك تدعي الجبن لتجلد
عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك ولا
أشب قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وتبت من مشاورة
الصبيان قال الحرث بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك
أن الجدل منك وإليك فأغرب في الضحك وطرب طربة
المتهتك ثم قال العق العسل ولا تسل فلخف أسهب في مدح

الأدب وأفضل رتبة على ذي النسب وهو ينظر إلي نظر
المستجهل ويغضي عني إغضاء المتمهل فلما أفرطت في العصبية
للعصبة الأدبية قال لي صه واسمع مني وأفقه

يقولون إن جمال الفتى وزينته أدب راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ
وأي جمال له أن يقال أديب يعلم أو ناسخ

ثم قال سيفصح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي
وسرنا لا نألوا جهدا ولا نستفيق جهدا حتى أدانا السير
إلى قرية غرب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا
منفض من الزاد فلما أن بلغنا المحط والمناخ المختط أو
لقينا غلاما لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد
تحية المسلم وسأله وقفة المتفهم فقال عم تسأل وفقك

قال أتباع هاهنا الرطب بالخطب قال لا والله
قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا التمر بالجمر
قال هيهات والله قال ولا العصيدة بالقصيدة قال اسكت
عافاك الله قال ولا الثريد بالقريد قال اين يذهب بك
ارشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عد عن هذا
اصلحك الله واستحلى ابو زيد تراجع السؤال والجواب
والتملح من هذا الجراب ولمح الغلام ان الشوط بطين
والشيخ شوبطين فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك
واستبنت انك تجد الجواب صبرة واكتنف به خبرة
اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر
بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا
حكم لقمان بلقمة ولا اخبار الملاحم بلحمة واما جيل هذا
الزمان فما فيهم من يمنح اذا اسبغ له المدح ولا من يجيز

اذا انشد الاراجيز ولا من يغيث اذا اطربه الحديث ولا
من يميز ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب
ان لم يجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا داناه بهيمة وكذا
الاديب ان لم يعضده نشب فادبه نصب وحرفته حصب
ثم انشمر يعدو وولى يحدو فقال لي ابو زيد اعلمت ان
الادب بار وولت انصاره الادبار فقلت له بحسن
البصيرة وسلمت بحكم الضرورة فقال دعنا الآن من
المصاع وخض في حديث حكم القصاع واعلم ان الاسجاع
لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفي الحرق
فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال ارى ان ترهن
سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه وأم المنقلب
اليك بما انتقم فاحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن
فما لبث ان ركب الآفة ورفض الصدق والصداقة فمكثت

مليًّا ابن قبّة ثم نهضتُ أتعقّبه فكنتُ كمن ضيّع اللبن
في الصيف ولم الفه ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون

اعاجيب
شكلات لغه

حكى الحارث بن همّام قال عشوتُ في ليلةٍ داجية
الظُّلَم فاحمة اللِّمم الى نارٍ تُضرَم على عَلَم وتُخبر عن كرم
وكانت ليلةً جوُّها مقرور وجيبها مزرور ونجمها
مغمور وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء
والعنز الجرباء فلم ازل انصّ عنسي واقول طوبى لكِ يا نفسي
الى ان بصر الموقد بي ونبّر الى فانحدر يعدو والجمز
وينشد من رجز

حُيّيتَ من خابط ليلٍ سارِ ... هداه بل اهداه ضوء النارِ
الى رحيب الباع رحب الدارِ ... مرحّبٍ بالطارق الممتارِ
ترحاب جعد الكف بالدينارِ ... ليس بمزورٍّ عن الزوّارِ

ولا بمعتام القرى بمختارِ ... اذا اقشعرّت تُرَب الاقطارِ
وضنّت الانواء بالامطارِ ... وهو على بؤس الزمان الضاري
جمّ الرماد مرهف الشفارِ ... لم يخلُ في ليلٍ ولا نهارِ
من نحر وارٍ واقتداح وارِ

ثم تلقّاني بمحيّا حيّي وصافحني براحة اريحي واقتادني الى
بيتٍ عشاره تخور واعشاره تفور وولائده تمور وموائده
تدور وباكنافه اضياف قد جلبهم جالبي وقلبوا في قالبي
وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح ذوي الفتاء
فاخذتُ ماخذهم في الاصطلاء ووجدتُ بهم وجد الثمل
بالطلاء ولما ان سُرّي الخصر واسري الحصر اتينا بموائد
كالهالات دورًا والروضات نورًا وقد شحنت باطعمة
الولائم وجمعن من الرغائب واللائم فرفضنا ما قُلّ في
البطنة ورأينا الامعان فيها من الفطنة حتى اذا اكتلنا

بمصاع الحطم واشفينا على خطر التخم تعاورنا مسوس الغمر
ثم تبوأنا مقاعد السمر واخذ كل منا يصول بلسانه وينشر
ما في صوانه ما عدا شيخا متشبها فوداه مخلولقا
برداه فانه ربض مجرة واوسعنا هجره فغاظنا تجنبه
المتلبس موجبة المغرور رقبة موثبة الا انا ألناله القول
وخشنا في المسلة العول وكلما رمنا ان يفيض كما فضنا
او يفيض فيما افضنا أعرض إعراض العلية عن الأرذلين
وتلا إن هذا إلا أساطير الأولين ثم كان الجمبة هاجته
والنفس الأبية ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف
وبذل أن يبلو في ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع
كالسيل الهامر وقال

عندي أعاجيب أرويها بلا كذب عن العيان فكنوني أبا العجب
رأيت يا قوم أقواما غذاؤهم بول العجوز وما أعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقر والعجوز ايضا من اسماء الخمر

ومستنبئين من الاعراب فوقهم ان يشتووا خرقة تغني عن السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ولا قرأوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما

وناصبين عقابا في مسيرهم على تجنبهم في البيض واللعب

العقاب الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم نبيلة فانثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه نبل البعير اذا مات وأروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت حجيا بلا شك على الركب

معنى حجت حجيا اي غلبت بالحجة مجادلين جاثين
على الركب وجثي جمع جاث

ونسوة بينما أدلجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب

كاظمة هاهنا بمعنى الغيظ

ومدلجين سروا من أرض كاظمة وأصبحوا حين لاح الصبح في حلب

أي أصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما شاء صنعهم لو قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ في القدر والقدير المطبوخ فيها

وبائع لم يلامس قط غائبه شاهدته وله نسل من العقب

النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم

وشائبا غير مخف للمشيب بدا في البدو وهو فتي السن لم يشب

الشائب هاهنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج يقال فيه مشوب ومشيب

ومرضعا بلبان لم يفه فمه رأيته في شجار بين الشبب

الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فإن ظللت فهي

الهودج والسبب هاهنا الحبل ومنه فليمدد بسبب إلى السماء

وزائر غادرة حتى إذا حصدت صارت غبيرا بهوا لها أخو الطرب

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث إياكم والغبيراء فإنها خمر العالم

ورائضا وهو مغلول على فرس قد غل أيضا وما ينفك من خبب

المغلول هاهنا العطشان وقد غل أي عطش

وذا يد طلق يقتاد راحلة مستعجلا وهو ماسور أخو كرب

الماسور الذي يجد الأسر وهو احتباس البول

وجالسا ماشيا تهوى مطيته به وما في الذي أوردت من ريب

الجالس الآتي نجدا والماشي الذي كثرت ماشيته

وعليه فسر قوله تعالى أن امشوا دعاء لهم بنماء الماشية

وحاملا أجذم الكفين ذا خرس فإن عجبتم فكم في الخلق من عجب

الجانب هاهنا الذي اذا مشا عرك منكبيه وتجح بين كتفيه

وصادعا بالقنا من غير ان علقت كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدع به اي كشفه

وذا اشطاط كصدر الرمح قامته صادفته بمنى يشلوا من الحدب

الحدب ما ارتفع من الارض

وساعيا في مسرات الانام يرى ابعادهم ماثما كالظلم والكذب

ابعادهم ابعادهم بالدين ومنه قوله صلى الله عليه

وسلم لا يرى في الاسلام مفرج

ومغرما بمناجاة الرجال له وما له في حديث الخلق من ارب

الخلق هاهنا بمعنى الاختلاق وهو الكذب ومنه

قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الما

وعني بالمذهب المسلك اي ما له في البدو آبار

بهذه الصفة

وذا قوى ما استنبا نشقط لينته ولينه مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى

ما قطعتم من لينة

وساجدا فوق فحل غير مكترث بما اتى بل يراه افضل القرب

الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وعاذرا مولما من ظل يعذره مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ما المغترف والما يجري عليها جري منشرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقرية دون افحوص القطا سخنت بذيلم عيشهم من خشية السلب

القرية بيت النمل والذيلم النمل الكثير

وكوكبا يواري عنده ذو ثنوه الانسان حتى يرى في أمنع الحجب

الكوكب النكتة البياض التي تحدث في

العين والانسان هاهنا انسان العين

وروثة قومت ما لا له خطر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الانف

وصحفة من نضار خالص شربت بعد المكاس بقيراط من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع ومنه قول بعض التابعين

لا باس بان تشرب في قدح النضار

ومستنجسا نخنخاشن ليدفع ما أظله من أعاديه فلم يجب

الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الأقط

وكم رأى ناظري فيلا على جمل وقد تورك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفائل الراي

وعاينت مقلتي عينين ما وهما تجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان هاهنا المقلتان

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكنت أبصرت كراز الراعية بالدو ينظر من عينين كالشهب

الكراز كبش يحمل عليه الراعي اداته

وكم نزلت بأرض لا نخل بها وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر

والقلب جمع قليب وهو البئر

وكم رأيت بأقطار الفلاة طبقا تطير في الجو منصبا الى صبيب

الطبق هاهنا القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم مخلدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي أبطأ شيبه.

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا بمنطق ذلق أمضى من القضب

الوحش الرجل الجائع.

وكم دعاني مستنيخ فحادثني وما أخل ولا أخللت بالأدب

المستنيخ الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع.

وكم أتت قلوص تحت جنبذة بظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المرأة المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من شره ساعنه ودمعه مستهل القطر كالسحب

شره أي قطع شرره وسره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة.

وكم رأيت قميصا صاحبه حتى انثنى واهي الأعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص.

وكم ازار لو ان الدهر أتلفه لجف لبد حبيب السير مضطرب

الازار المرأة ومنه قول الشاعر

فدى لك من أخي ثقة ازاري وقيل عنى بالازار نفسه

هذا وكم من أفانين معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم للحن القول بان لكم صدقي وود لكم طلعي على رطبي

وان شدهتم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب

نصه وتأويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول

ليس بعشك فادرجي الى أن تعسر النتاج واستحكم الارتتاج

فألقينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فوقفنا بين

الطمع واليأس وقال الايناس قبل الابتئاس فعلمنا انه ممن

يرغب في السلم ويرتشي في الحكم وساءنا ان نعرض

للغرم او نخيب بالرغم فأحضرنا له عبدة وحلة سعيدة

وقال له خذهما حلالا ولا تزر الصبا في زبالا فقال أشهد

إنما سنشيمه أخزميّة وأريحيّة حاتميّة ثم قابلنا بوجهٍ بِشرُه
يشفّ ونضرته ترفّ وقال يا قوم إنّ الليل قد اجلوّذ والنعاس
قد استحوذ فافزعوا إلى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتنشروا
نشاطا فتعوا ما أفسّر وتسهل لكم المتعسّر فاستصوبنا كلّ
ما رآه وتوسّد وساده كراه فلما وسنت الأجفان وأغفت
الضيفان وثب إلى الناقة فرحلها ثم ارتحلها ورحّلها وقال
مخاطبا لها

سُروحَ يا ناقُ فسيري وخِدي ۰ وأدلجي وأوّبي وأسئدي
حتّى يطا خفّاك مرعاها النّدي ۰ فتنعمي جنيدا وتسعدي
وتأمني أن تتهمي وتنجدي ۰ أيوفيك لنوق حلّي وأحمدي
وافري أديم قدفد فقدفد ۰ وأقنعي بالنشج عند المورد
ولا تخطّي دون ذات المقصد ۰ فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد ۰ إنك إن أظللتني في بلدي

حللت منّي بمحلّ الولد

قال فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع أتباع وإذا أملى
الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهبّ النوّام من النوم
أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات طلقهم البتات وركب
الناقة وفات وأخذهم ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه
بما خبث ثم انشعبنا في كل مشعب وذهبنا تحت كل كوكب
قال القسم بن علي فقد فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعد على من
بغراه كشفه وقد بقيت ألفاظ اختصصتها هذه المقامة
ربما التبس تفسيرها على بعض من تنفع إليه فأحببت إيضاحها
له ليتوقّى جرّة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسألة
وبالله تعالى الاستعانة والقوة قوله عشوت إلى نار
يعني نورتها فقصدتها فإن لم تقصدها قلت عشوت عنها
كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا

أي من بعض وقوله أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء هذان
المثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لأن الحرباء أبدا يدور
مع الشمس ويستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء
في قوله

ما بالها قد حسنت ورقيبها أبدا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبدا يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم
أن العنز الجرباء تصحيف للمثل الأول وقوله بخورا يعني الجمل
المكتنز شحما الكثير لحما وقوله عشاره بخور وأعشاره نفور
العشار النوق الحوامل واحدتها عشراء وهي التي أتى عليها في
الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما
تضع والأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها
ويقال برمة أعشار وجفنة أعشار وثوب أسمال وبرد

أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها لوصف الواحد
وقوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول
بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل
إن الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل مأكل

وقوله موائد كالهالات يعني دارات القمر واحدتها
هالة ودارة الشمس تسمى طفاوة وقوله مشوش الغمر
يعني المنديل يقال مششت يده بالمنديل إذا مسحها ومنه قول
امرئ القيس

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب [غير نضيج]

وقوله مشتهبا فوداه أي صارا من الشيب في لون الأشهب
ومنه قول امرئ القيس

قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب

وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك
في الرخاء ويجانب عند البلاء يربع وسطا ويربض حجرة وقوله
فاستوعى سمع السامر يعني السمار لأن السامر اسم للجمع كالحاضر
اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض
أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر
وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار
أنهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه وإلى هذا يرجع
قولهم لا أكلمه القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي
هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة
فإن كان في حائط أو كهف جبل فهو وكر وقوله الإيناس
قبل الإبساس هذا مثل أيضا ومعناه أنه ينبغي أن يؤنس الإنسان
ثم يكلف وأصله أن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم
يبس بها للحلب والإبساس أن يقول لها بس بس لتسكن وتدر

وتسمى الناقة التي تدر على الإبساس البسوس وقوله
يرغب في الشكم الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فإن
أعطيت مبتدئا فهو الشكد وقوله شأى أبا مثوانا يعني
المضيف الذي أووا إليه وثووا عنده وقوله ناقة عيدية
قيل إنها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد وقيل بل هي منسوبة
إلى فخذ من مهرة يقال لهم بنو عيد بن الآمري على وزن العامري (اسمه عيد)
من مهرة وكانت مهرة وعيد تنجبان نجائب الإبل فنسبت
إليهما وقوله حلة سعيدية هي منسوبة إلى سعيد بن العاص
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة
فنسب جنسها إليه وقوله لا تزرأ أضيافي زبالا أي
لا ترزأهم شيئا ولو قل والأصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها
وقوله شنشنة أخزمية أشار به إلى المثل الذي ضربه
جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي

حين نشأ حاتم وتقيّل أخلاق جده أخزم في الجود فقال
شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن علفة به حين
قال ـــــ

إن بنيّ ضرّجوني بالدم ۝ من يلق أساد الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم

ومن ادّعى أن المثل له فقد سها فيه وقوله اجلوّذ
أي أسرع في الذهاب ومثله اخروّط وقوله وثب إلى
الناقة فرحلها يعني شدّ عليها الرحل وبه سمّيت الراحلة
لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة
راضية أي مرضية وكقوله من ماء دافق أي مدفوق
والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة
مثل داهية وراوية وقوله ارتحلها أي ركبها وفي
الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن

فأبطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال إن ابني ارتحلني
فكرهت أن أعجله وقوله ورحّلها أي أزعجها وأشخصها
وأجدّ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة
نار من قعر عدن ترحّل الناس وقوله فأدلجي وأوّبي
وأسئدي الإدلاج أن تسير الليل كله والاسم منه الدَّلجة
بفتح الدال والادّلاج بالتشديد أن تسير من آخره والاسم
منه الدُّلجة بضم الدال وقيل إن الدلجة بفتح الدال وضمها
بمعنى والتأويب سير النهار وحده والإسآد أن تسير
ليلا ونهارا والنشح أن تشرب دون الريّ وقوله
فأخذهم ما قدم وما حدث يقال ذلك لمن يستولي عليه
الهمّ والدال من حدث تضمّ في هذا الموضع وحده ليوافق لفظ
قدم فإن أفرد حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله
قولهم هناني ومراني بحذف الألف من أمرأني إذا ذكر مع

الإسآد والإدلاج في السير
وأكثر ما يستعمل في سير
الليل وقال أبو زيد الإسآد
أن يسير الليل مع النهار
وقال المبرد الإسآد
سير الليل لا توقف فيه
والتأويب سير النهار
لا تعريج فيه صح
فتدبر

هنا بي فإن أفردته وجب أن تقول أمر بي الشيء وكذلك
يقولون رجس نجس فيكسرون النون من نجس ويسكنون
الجيم منه ليزاوج لفظة رجس فإن أفرد فتح النون
كقوله تعالى إنما المشركون نجس وقوله
ذهبنا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن تختلف في
السفر طرقهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والأربعون الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت أخذت عن أولي
التجارب أن السفر مرآة الأعاجيب فلم أزل أجوب كل
تنوفة وأقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل طرفة وقمن
أحسن ما لمحته وأغرب ما استملحته أني حضرت قاضي
الرملة وكان من أرباب الدولة والصولة وقد ترافع إليه
بال في بال وذات جمال في أسمال فهم الشيخ بالكلام

وتباين المرام فمنعته الفتاة من الإفصاح وخسأته
عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وأنشدت بلسان
السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمره
إليك أشكو جور بعلي الذي لم يحجج البيت سوى مره
وليته لما قضى نسكه وخف ظهرا أدرى من الجمره
كان على رأي أبي يوسف في صلة الحجة بالعمره
هذا على أني مذ ضمني إليه لم أعص له أمره
فمره إما ألفة حلوة ترضى وإما فرقة مره
من قبل أن أخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ أبي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزته إليك ونعته
عليك فجانب ما عزل وحاذر أن تعرك وتعزل فجثا الشيخ
على ثفناته وتدفق بينبوع نفثاته وقال

اسمعْ عدالَ الذي فوّكَ أمري يوضحْ فيما رابها عذرَه

واللهِ ما أعرضتُ عنها قِلًى ولا هوى قلبي فضّيَ نذرَه

وإنّما الدهرُ عدا صرفُه فابتزّ ما الدرّ والذرّه

فمرّ لي فقرٌ ذا جيدِها عطلٌ من الخرعة والشذره

وكنتُ من قبلُ أرى في الهوى ودينِه رأيَ بني عُذره

فمذ نبا الدهرُ هجرتُ الذي هجرانُ عفٍّ حذرَه

وملتُ عن حرثي لا رغبةً عنه ولكن أتّقي بذرَه

فلا تلمْ من هذه حالُه واعطفْ عليه واحتملْ هذرَه

قال فالتظت المرأةُ من مقالِه واشتُطّ الحجّ

لجداله وقالت له ويلك يا من فغّان بأمر هو لا طعام ولا

طعان أتضيق بالولد ذرعًا وكلّ مولود مرعيّ لقد ضلّ فهمك

وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال

لها القاضي أما أنتِ فلو جادلتِ الخنساء لانثنت عنك

خرسا وأما هو فإن كان صدق في زعمه ودعوى عدمه

فله في همّ قبقبه ما يشغل عن ذنبه فأطرق ننتظر أزورارا

ولا ترجع حوارا حتى قلنا قد رجعها الخفر أو حاق بها

الظفر فقال لها الشيخ نفسًا لك إن زخرفتُ أو كتمتُ

ما عرفتُ فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم أو بقي لنا

على سرّ ختمٌ وما أفِنا الأمر صدقٌ وهتك صونه إذ نطق قلبنا

لا فينا البكم ولم نلق الحكم ثم انتعت يوشاحها وتبالت

لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجّ ويلوم

لهما الدهر ويؤنّب ثم أحضر من الورق ألفين وقال أرضيا بها

الأجوفين وعاصيا النازغ بين الأليفين فشكراه على حسن

السراح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد

مسرحهما وتنائي شبحهما يثني على أدبهما ويقول هل من عارف

بهما فقال له عين أعوانه وخالصة خلصائه أما الشيخ

فالشيخ وحيّ المشهود بفضله وأما المرأة فقعيدة بعله
وأما الخادم فكبيدة من فعله وأحبولة من حبائل
ختله فتحفّظ القاضي ما سمع وتلهّب لتنفّق خدعه ثم قال
للواشي بهما قُدْهما ثم أقصدهما وصِدْهما فنهض ينفض مذاوده
ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضي أظهرنا على ما بُثّ
ولا تخف ما استخبئت فقال ما زلت أستقري الطرق وأستفتح
الغلق إلى أن أدركتهما مصحرين وقد زمّا مطيّ البين فرغّبتهما
في العلل وعللتهما بنيل الأمل فاشرأبّ قلب الشيخ إلى إيناس
وقال الفؤاد بتقارب أليس وقالت هي بل العود أحمد والفرقة
أبدا أجمد فلما تبيّن الشيخ سفه رأيها وعزّ احتزابها أمسك
ذلاذلها ثم أنشأ يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سُبْله ... وأغنِ عن التفصيل بالجمله
طرّي متى نفّرت من نخلة ... وطلّقيها بتّة بتّله

وحاذري العود إليها ولو ... سبّلها ناطورها الأبله
فخير ما اللص الإبري بقعة ... فيها له عمله
ثم قال لي لقد عُنّيت فيما وُلّيت فارجع من حيث
جئت وقل لمرسلك إن شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالأذى ... فتضحى وشمل المال والحمد منصدع
ولا تغضبن من تزوير سائل ... فما هو في صوغ اللسان بمبتدع
وإن تك قد ساءتك مني خديعة ... فقبلك شيخ الأشعرين قد خدع

فقال القاضي قاتله الله فما أحسن شجونه وأملح فنونه
ثم إنه أصحب رائده بردين وصرّة من العين وقال له سِر بهما
من لا يرى الالتفات إلى أن ترى الشيخ والفتاة فبلّغهما
هذا الحبا وبيّن لهما انخداعي للأدبا قال الراوي
فلم أر في الإغراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن
جال وجاب

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حدث الحرث بن همام قال نزع بي الى حلب شوق
غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ
حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها
خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها
اقاني الايام فيما يشفي الغرام ويروي الاوام الى ان اقتضى
القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه
فاغرائي لبان الخلو والمرح الحلو بان اقصد حمص لأصطاف
بقعتها واسبر رقاعة اهل رقعتها فاسرعت اليها اسراع
النجم اذا انقض للرجم فحين خيمت برسومها ووجدت روح
نسيمها لمح طرفي شيخا قد اقبل هريره وادبر غريره وعنده
عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في
قصده الحرص لاختبره اذا ابا حمص فتش بي حين وافيته

وحيا بأحسن مما حييته فجلست لديه لأبلو جنى نطقه
وأكتنه كنه حمقه فما لبث أن أشار بعصيته الى اكبر
اصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر
ان تماطل فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح ... واورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها ... واعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما ... عماده لا لادراع المراح
والله ما السؤدد حسو الطلا ... ولا مراد الحمد رود رداح
واها لحر صدره واسع ... وهمه ما سر اهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله ... وماله ما سالوه مطاح
ما اسمع الآمل ردا ولا ... ماطله والمطل لؤم صراح
ولا اطاع اللهو لما دعا ... ولا كسا راحا له كاس راح
سواده اصلاحه سره ... وردعه اهواءه والطماح

وحصّل المدح له علمه ما مهر الغرّ بمهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بني يا رأس الدنيا ثم قال

للثوم المتشبه بصنوه ۞ أدن يا نويرة يا قمير

الدويرة فدنا ولم يتباطأ حتى حل منه مقعد المعاط فقال

له أجل الأبيات الغرائب وإن لم يكن بفائس فري وقط ثم أعجم

اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزين يسقيتني بزي يشف بين ثني

فنظيت تحيتي بحين بنفث يشفي فحظني

بث في غش حب بزين خبيث بغي نشق ضغن

فرثت في تجنبي وتبني بشجي تشجي بغي فقر

فلما نظر الشيخ إلى ما حبره وتصفح ما زبره قال له

بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف بغلام باقطاب

فاقترب منه فتى يحلي بحجم دجنة أو تمثال دمية فقال

له ارقم الأبيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم

ورقم اسمح فبث السماح زين ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال فتن أم في السؤال حيف

ولا تظن الدهور تبقي مال ضنين ولو تقشف

واحلم فجفن الكرام يغضي وصدرهم في الحفاظ يرحف

ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما يزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى

يا غشمشم يا عطر منشم فلباه غلام كدر غواص

وجؤذر قناص فقال له ألف الأبيات المتابيم ولا تلن

من المتابيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعس يجد بجد

قدرها قدها وتاهت وباهت وأعدت وأغدت بحر نجد

فارقتني فأرقتني وشطت وسطت ثم وجد وجد

فدنت فدنت وحنت وجنت مغضبا مغضبا بود بود

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شلت عشر ولا استحبت نشرك ثم أهاب بفتى فتان يبسم عن أزهار نيسان فقال له أنشد البيتين المطرفين المشتبهي الطرفين اللذين استكنا كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وأنشد من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال له أحسنت يا زغلول يا أبا الغول ثم نادى أوضح يا أبا ياسين ما يشكل من أدوات السين فنهض ولم يتأن وأنشد بصوت أغن

نفس الرواة ورسغ الكف مثبتة سيناهما إن هما خطا وإن رسما

وهكذا السين في قسب وباسقة والسقح والبخس وافرس وقبس

وفي تنفست بالليل الاكم وفي مسيطر وشتوس والخندمس

وفي قريس وبردفارس فخذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم أنشد من غير عثار

بالصاد تكتب قد بصبصت دراهما يا آملي وأصخ لتسمع الخبر

وبصقت أبصق والصماخ وصنجة والقص وهو الصدر واقتص الأثر

وبخصت مقلته وهذي قرصة وقد اغتصت منه القريصة للحجز

وفقرت هندا أي حبست وقد ذا أفصح النصارى وهو عبد منتظر
وقرصته والخمر قارصة إذا حذت اللسان وكل هذا مستطر
فقال له رغبا لك يا بني فلقد أقررت عيني ثم استنهض
ذا جثة كالبيدق وتعشيه كالسوذق وأمره بأن يقف بالمرصاد
ويسرد ما ألغز في السين والصاد فنهض يسحب برديه ثم
أنشد مشيرا بيديه

إن شئت بالسين فاكتب ما أبينه وإن تشا فهو بالصادات يكتتب
مغص وقفص ومسطار وممّلس وسالغ وصراط الحق والسقب

المغص لوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين
والقفص قفص البيضة والمسطار الخمرة المرة ويقال لها
لها السطار أيضا والملس الذي يسقط من يد ولا
تشعر بها والسالغ أسنان ذوات الظلف والسقب القرب
والسامغان سقفا والسوق وسلق وكل هذا فصيح الكتب

السامغان جانبا الفم والمسلاق الشديد الصوت
ومنه قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد
فقال له أحسنت يا جخيفة يا عين بقة ثم نادى
يا دغفل يا أبا زنفل فلبّاه فتى أحسن من بيضة في روضة
فقال له ما عقد هجا الأفعال التي أواخرها حرف اعتلال
فقال له اسمع لا صمّ صداك ولا سمع عداك ثم أنشد
وما استرشد

إذا الفعل يوما غمّ عنك هجاؤه فألحقه تاء الخطاب ولا تقف
فإن تر قبل التاء ياء فكتبه بياء وإلا فهو يكتب بالألف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعدّاه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه ثم عوّذه وفداه ثم قال هلم يا قفقاع
يا يافعة البقاع فأقبل أحسن من نار القرى في عين ابن السرى
فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع أكباد

الأضداد فاهتز لقولو واهتش ثم أنشد بصوت أجش

أيها السائلي عن الضاد والظا لكيلا تضله الألفاظ

إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبى واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ

والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والإيقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ

والأظافير والمظفر والمحظور والحافظون والإحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ

والوظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والإغلاظ

ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم الفظيع والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والأوشاظ

المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو النبات

المدبوغ به والأوشاظ الأخلاط والجماعات

وظراب الظران والتشظف والباهظ والجعظري والجواظ

الظراب الربى الصغار واحدتها ظرب والظران

الحجارة المحددة واحدتها ظررة والجعظري المتنفج

بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الأكول المختال

والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظيان والأرعاظ

الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا ابطا وفسوها

وجمع أيضا على ظرابي بحذف النون وعلى ظربى وهو

جمع شاذ والحناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر

الجراد والظيان ياسمين البر والأرعاظ جمع رعظ

وهو مدخل النصل في السهم

والشناظي والدلظ والظأب والظبظاب والعنظوان والجعظ

الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظأب الصخب
وقد تبدل الباء منه ميماً وقيل إن الظأب والظأم
اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت والظبظاب
الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قلبة
والجنعاظ الأحمق وقيل المتسخط عند الطعام
والشناظير والتعاظل والعظلم والبظر بعد والإنعاظ
الشناظير جمع شنظير وهو السيئ الخلق والتعاظل
تلازم الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم
الخطمي

هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو آثار الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في أصله كقيظ وقاظوا

فقال له الشيخ أحسنت لا فض فوك ولا بر من
يجفوك فوالله إنك مع الصبي الغض لأحفظ من الأرض وأجمع من
يوم العرض ولقد أوردتك وروقتك زلالي وثقفتكم
تثقيف العوالي فاذكروني إذا ذكرتم واشكروا لي ولا
تكفرون قال الحارث بن همام فعجبنا لما أبدى
من براعة مجونه برقاعة وأظهر من حذاقة ممزوجة بحماقة
ولم يزل البصري يصعد فيه ويصوب ويتفرسه وينقب وهو
كمن ينظر في ظلماء أو يسري في بهماء فلما استراب تنبهي
واستبان تدلهي حملق إلي وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فبهت
لفحوى كلامه ووجدته أبا زيد عند ابتسامه وأخذت
ألومه على تدبير بقعة النوكى وتخير حرفة الحمقى فكأن وجهه
أسف رماداً أو أشرب سواداً إلا أنه أنشد وما تمادى

تخيرت حمص وهذي الصناعة لأرزق حظوة أهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال إلا بقاعه
ولا لأخي اللب من دهره سوى ما العير يسطو بقاعه

ثم قال أما إن التعليم أشرف صناعة وأربح
بضاعة وأنجح شفاعة وأفضل براعة وربه ذو إمرة
مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر
تسيطر أمير ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه
بذي ملك كبير لولا أنه يخرف في أمد يسير ويتسم بحمق
شهير ويسلب عقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت له
تالله إنك لابن الأيام وعلم الأعلام والساحر اللاعب بالأفهام
المذلل له سبل الكلام ثم لم أزل معتكفا بناديه ومغترفا
من سيل واديه إلى أن غابت الأيام الغر ونابت الأحداث
الغبر ففارقته ولعيني العبر

المقامة السابعة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال احتجت إلى الحجامة وأنا
بحجر اليمامة فأرشدت إلى شيخ يحجم بلطافة ويستفرغ عن

نظافة فبعثت غلامي لإحضاره وارتصدت نفسي
لانتظاره فأبطأ بعد ما انطلق حتى خلته قد أبق أو ركب
طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه
فقلت له ويلك أبطأت وصلود زندك فزعم أن الشيخ أشغل
من ذات النحيين وفي حرب أحر من حرب حنين فعفت المشي إلى حجام
وحرت بين إقدام وإحجام ثم رأيت أن لا تعنيف على من يأتي
الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا
هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة
أطواق ومن الحجام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة
مستهدف للحجامة والشيخ يقول له أراك قد أبرزت
راسك قبل أن تبرز قرطاسك ووليتني قذالك ولم تقل لي
ذلك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين فإن
أنت رضخت بالعين حجمت في الأخدعين وإن كنت ترى الشيخ

أولى وخزن الفلس في النفس أحلى فاقرأ عبس وتولّى واعرب
عني والا فقال الفتى والذي حرّم صوغ المين كما حرّم
صيد الحرمين اني لا أفلس من ابن يومين فثق بسبيل تلعني وانظرني
الى سعيي فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود كغرس
العود هو بين ان يدركه العطب او يُنال منه الرطب فما
يدريني أتحصل من عودك جنى أم أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة
بأنك حين تبتعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل
في حلية هذا الجيل فأرحني بالله من التعذيب وارحل الى
حيث يعوي الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه
وقال والله ما يحنث بالعهد غير الخبيث الوغد ولا يبرد
غلة الغدر الا الوضيع القدر ولو عرفت من انا لما أسمعتني
الخنى لكنك جهلت فقلت وحقّ أن تستجهل لك وما أقبح
الغربة والاقلال واحسن قول من قال

إنّ الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه مذ نشا الحرّ موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما أصلي الياقوت جمر غضا ... ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويله أبيك وعوله أهليك أأنت
في موقف فخر يظهر وحسب يشهر أم موقف جلد يبسط
وكفّ تبسط وهبك كما ادّعيت وسلّم أن لك البيت المحصل
بذلك المجيم فذالك لأو الله ولو أنّ ابا لك أناف على عبد مناف
او نجالك دان عبد المدان فلا تضرب في حديد بارد ولا
تطلب ما لست له بواجد وباه اذا باهيت بموجود لك
لا بجدود ولك محصول لك لا بأصولك وبصفاتك لا
برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تبطع الطمع فيذلك ولا
تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بنيّ استقم فالعود تنمي عروقه ... قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى

ولا تُطِعِ الحرصَ المذلَّ وكن فتًى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى
وعاصِ الهوى المُردي فكم من مُحلِّقٍ إلى النجمِ لمّا أن أطاع الهوى هوى
وأسعِفْ ذوي القربى فيقبُحُ أن يُرى على مَنْ إلى الحُرِّ اللُّبابِ انضوى ضوى
وحافظ على مَن لا يحول إذا نبا زمانٌ ومن يرعى إذا ما النوى نوى
وإن تفتقرْ فاصبرْ ولا خيرَ في امرئٍ إذا اعتلقت أظفارُه بالشوى شوى
وإيّاك والشكوى فلم يرَ ذا نُهى شكا إنّما أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظّارة يا للعجيبة والطُّرفة
الغربة أنفٌ في السماء واستٌ في الماء ولفظةُ الصهباء وفعل
كلِّ جُهباء ثم أقبل على الشيخ بلسانٍ سليط وغيظٍ مستشيط
وقال أُفٍّ لك من صَوّاغٍ باللسان روّاغٍ عن الإحسان تأمر
بالبرّ وتعقّ عقوق الهرّ فإن لكن نسب نعتك نفاق صنعك
فرماها الله بالكساد وإفساد الحُسّاد حتى تُرى أفرغ من
حجّام ساباط وأضيق رزقًا من سَمّ الخياط فقال له الشيخ

بل سلّط الله عليك بَشَرَ الفم وتبيّغَ الدم حتى تلجأ إلى حجّام
عظيم الاشتطاط ثقيل الاشتراط كليل المشراط كثير
المخاط والضراط قال فلما تبيّن الفتى أنه يشكو إلى غير مُصْمِت
ويزاول استفتاح باب مُصمَت أضرب عن رجع الكلام
وتحفّز للقيام وعلم الشيخ أنه قد لام بما أسمع الغلام
فجنح إلى سِلمه وبذل أن يُذعن لحكمه وأبى الغلام إلا المشي
بدائه والهرب من لقائه وما زال في حِجاج
وسِباب ولِزاز وجِذاب إلى أن ضجّ الفتى من الشِّقاق
وبلا ردّ دونه سَورة الإشفاق فأقول حينئذٍ لو فان خيره
وانعطاط عرضه وطِمرِه وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته
ويتغيّض من عثراته وهو لا يُصغي إلى اعتذاره ولا ينقص عن
استعباره إلى أن قال له فداك عمُّك وعداك ما تعمل أما
تسأم الإعوال أما تعرف الاحتمال ألم تسمع بمن قال وأخذ

بقول من قال

أحمِ بحلمك ما يذكيه ذو سفهٍ من نار غيظك واصفح إن جنى جاني

فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني

فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على عيشي المنكدر

لعذرت في دمعي المنهمر ولا هان على الأملس ما لاقى الدبر

ثم كأنه نزع إلى الاستحياء فأقلع عن البكاء وقال لي

الارعواء وقال للشيخ قد ضربت إلى ما اشتهيت فارفع ما

أوهيت فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فشم بارقًا

سواي ثم إنه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف

وينشد في ضمن ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمه

لو أن عندي قوت يوم لما مسّت يدي المشراط والمحجمه

ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد بهذي السمه

ولا اشتكى هذا الفتى غلظةً مني ولا شاكه مني حمه

لكن صروف الدهر غادرنني أخابط في الليلة المظلمه

واضطرني الفقر إلى موقفٍ من دونه خوض اللظى المضرمه

فهل فتى تدركه رقةٌ علي أو تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت أول من أوى لبلواه

ورق لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا دانا ولو كان

ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بها لغناه ولم تزل الدراهم

تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة

بجرا فازدهاه الفرح عند ذلك وهنأ نفسه هنالك وقال

للغلام هذا ربيع أنت بذرته وحلب لك شطره فهلم لنقتسم

ولا نحتشم فقاسماه بينهما شق الأبلمة ونهضا ينتقيان الكلمة

ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له قد

تبوغ دمي ونقلت إليك قدمي فهل لك في أن تحجمني وتكفكف

مادهمني فصوب طرفه في وصعد ثم ازدلف الي وانشد

كيف رأيت خدعتي وختلي • وما جرى بيني وبين سخلي

حتى انثنيت فائزا بالخصل • ارعى رياض الخصب بعد المحل

بالله يا مهجة قلبي قل لي • هل ابصرت عيناك قط مثلي

يفتح بالرقية كل قفل • ويستبي بالسحر كل عقل

ويمزج الجد بماء الهزل • ان كان الاسكندري قبلي

فالطل قد يبدو امام الوبل • والفضل للوابل لا للطل

قال فنهنهني ارجوزته عليه وارتني انه شيخنا المشار اليه فقرعته على الابتذال والالتحاق بالاراذل فاعرض عما سمع ولم يبال بما وقع وقال كل الجد اتجدي الجافي الوقع ثم فاصاني مفاصاة المكان وانطلق وابنه كفرسي رهان قال القسم بن علي قد اودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من امثال العرب وها انا مبينها ما حالة يقتبس على من يقتبس

اما قوله بنت فنيد فهو مولى عائشة بنت سعد بن ابي وقاص وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر واقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة واما ذات النحيين وهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح احدهما وذاقه ودفعه اليها فاخذته باحدى يديها ثم فتح الاخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضرب بها المثل فقيل شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت والاكثر الامثال التي على افعل تأتي من فعل الفاعل واما قوله انف في السماء واست في الماء يضرب هذا المثل لمن يتكبر

مفقا الا ويصغر فعالا وأما قوله أوزع من حجام ساباط
فذكر أنه كان حجاما ملازما ساباط المداين يحجم الجندي
بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يمر به فيها أحد فكان
يبرز أمه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يفرغ بالبطالة
فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت وأما قوله
يشكو الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشأن
صاحبه ولا يبالي باستمرار شكايته لأنه لو أشداه لصمت
وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له
إنك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت
ونحو هذا المثل هان على الأملس ما لاقى الدبر وأما قوله
شغلت شعابي جدواي فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما
أصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله
كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه أن المجهود يقنع

بما يجد والوقع أن تصيب الحجارة القدم فتوهنها فأما
البعير الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون

روى الحارث بن همام عن أبي زيد السروجي قال
ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي أحن
الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما أجمع عليه أرباب
الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر
مشاهدها وشهدائها وأسأل الله تعالى أن يوطئني ثراها
لأفوز بمرآها وأن يمطيني قراها لأمتري قراها فلما أحلنيها
الحظ وسرح لي فيها اللحظ
رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الأوطان كل غريب
فغلست في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام وهتف
أبو المنذر بالنوام لأخطو في خططها وأقضي الوطر من

توسّطها فأدّاني الاختراق في مسالكها والانصلات في
سككها الى محلّة موسومة بالاحترام منسوبة الى بني
حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبانٍ
وثيقة ومغانٍ أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة
بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنّات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطّلع الى تخليص عانِ
وكم من قارئ فيها وقارٍ أضرّا بالجفون وبالجفانِ
وكم من معلمٍ للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى ما ترى المغني فيه أغاريد الغواني والأغاني
فصلْ إن شئت فيها من يصلّي وإمّا شئت فادنُ من الدنانِ
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنانِ
قال فبينما أنا أتقصّى طرقها وأستشفّ

رونقها إذ لمحت عند دلوك براح وإطلال الرواح شيخًا
مشتهرًا بطرائفه مزدهرًا بطوائفه وقد أجرى أهله
ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجبت نحوهم
لاستنباط نحوهم لا لاقتباس نحوهم فلم يك إلا كقبسة العجلان
حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الإمام
فأغمدت ظبى الكلام وجلت لحا للقيام وشغلنا بالقنوت
عن استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما
قضي الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى شيخ من الجماعة له حلو
البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة
الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على الغضان
شجري وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي
وعيبتي وأعددتهم لمحضري وغيبتي أما تعلمون أن لبوس
الصدق أبهى الملابس الفاخرة وأن فضوح الدنيا أهون

من نصوح الآخرة وأنّ الدين امحاض النصيحة والارشاد
عنوان العقيدة الصحيحة وأنّ المستشار مؤتمن والمسترشد
بالنصح قمن وأنّ أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك
من صدقك لا من صدّقك فقال له الحاضرون أيها الخِلّ
الودود والحَبر المودود ما سرّ كلامك الملغز وما
شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منّا فننجز ولو أعجز
فوالذي حبانا بالمحبة وجعلنا من صفوة أحبتك ما نألوك
نصحا ولا ندّخر عنك نصحا فقال لهم جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا
فإنكم ممن لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخبث
فيهم مظنون ولا ينطوي دونهم مكنون وسأبثكم ما
حاك في صدري وأستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا أني
كنت عند صلود الزند وصدود الجدّ أخلصت مع
الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على ألا أسبأ

مُداما ولا أعاقر ندامى ولا أجتني قهوة ولا أكتسي
نشوة فسوّلت لي النفس المضلة والشهوة المذلة أن
نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار
وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت
التوبة كالميت ثم لم أقنع بما تهتكت في طاعة أبي مرّة
حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وبتّ صريع الصهباء
في الليلة الغراء ها أنا بادي الكآبة لرفض الإنابة
بادي الندامة لوصل المدامة شديد الإشفاق من نقض
الميثاق معترف بالإسراف في عبّ السلاف
فبأفواهكم هل كفارة تعرفونها تباعدني من ذنبي وتدنيني إلى ربي
قال أبو زيد فلما أحلّ أنشوطة نفثه وقضى
من الوطر من أشكال بثه ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة
صيد فشمّر عن يد وأيد فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم

وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

ايها الاروع الذي فاق مجداً وسوددا

والذي يبتغي الرشاد لينجو به غدا

ان عندي علاج ما بت منه مسهدا

فاستمعها عجيبة غادرتني مبلدا

انا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى

كنت ذا ثروة بها ومطاعاً مسوددا

مربعي مألف الضيوف ومالي لهم سدى

اشتري الحمد باللهى واقي العرض بالجدا

لا ابالي بمفلس طاح في البذل والندى

اوقد النار باليفاع اذا النكس اخمدا

ويراني المؤملون ملاذاً ومقصدا

لم يبت بار في صدد فاشى يشتكي الصدى

ولا رام قابس قدح زندي فاصلدا

طالما ساعد الزمان واصبحت مسعدا

فقضى الله ان يغير ما كان عودا

بوا الروم ارضنا بعد ضغن تولدا

فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا

وحووا كلما استسرته الي وما بدا

فتطوحت في البلاد طريداً مشردا

اجتدي الناس بعدما كنت من قبل مجتدى

وترى بي خصاصة اتمنى لها الردى

والبلا الذي به شمل انسي تبددا

ان سبوا ابنتي التي اسروها لتفتدى

فاستبن محنتي ومد الي نصرتي يدا

واجرني من الزمان فقد جار واعتدى

وأعنى علي في كمال آنسي من يد العدى
فبذا انجى المآثم عمن تمردا
وبه تقبل الانابة ممن تزهدا
وهو كفارة لمن راغ من بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا
فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدى
واسمح الآن بالذي ينسي تمجدا

قال أبو زيد فلما تمت هذه مني واوهم المسؤول صدق كلمتي أغراه الغرم الى الالمام بمواساتي ورغبته الكلف بحمل الكلف في مقاساتي فرضخ لي على الجافرة ونضح لي بالعذق الوافرة فانقلبت الى وكري بوجه جاء بمكري وقد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حول القصيدة الى طول العصيدة قال الحرث

ابن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه
وارح فؤادك ان نباه دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم النهضة احضر ابنه بعد ما استنجش ذهنه وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي عهدي

وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع
له العصا ولا ينبّه بطرق الحصى ولكن قد ندب إلى الإذكار
وجعل صيقلا للأفكار وإني أوصيك بما لم يوص
شيث الأنباط ولا يعقوب الأسباط فاحفظ وصيّتي
وجانب معصيتي واحذ مثالي واقتف أمثالي فإنك إن
استنصحت نصحي واستصبحت بصبحي أمرع خانك وارتفع
دخانك وإن تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قلّ
رمادك وتافيلك وزهد أهلك ورهطك فيك يا بنيّ إني
جرّبت حقائق الأمور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت
المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه
وكنت سمعت أن المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة
فمارست هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع فما أحمدت منها
معيشة ولا استرغدت فيها عيشة أما فرص الولايات

وخلس الإمارات فكأضغاث الأحلام والفيء المنتسخ
بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام وأما بضائع
التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما
أشبهها بالطيور الطيارات وأما اتخاذ الضياع والتصدي
للازدراع فمنهكة للأعراض وقيود عائقة عن الارتكاض
وقلما خلا ربها من إذلال أو رزق روح بال وأما حرف
أولي الصناعات فغير فاضلة عن الأقوات ولا نافقة
في جميع الأوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحيوة
ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب صافي
المشرب إلا الحرفة التي وضع ساسان أساسها ونوّع أجناسها
وأضرم في الخافقين نارها وأوضح لبني غبراء منارها فشهدت
وقائعها معلما وأخرجت سيماها متسما إذ كانت المتجر
الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو

إليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان أهلها
أغر قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم من حيف ولا يقلقهم
سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان
ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون بمن
قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة
وأوقاتهم غر محجلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا
خرطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون
عمن يغدو خماصا ويروح بطانا فقال له ابنه يا أبه لقد
صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين لي
كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بني إن
الارتكاض بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها
والقحة سلاحها فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب
وأنشط من ظبي مقمر وأسلط من ذئب متنمر وأقدح زندك

بجزل واقرع باب رغبتك بسعيك وجب كل فج وخض
كل لج وانتجع كل روض وأدل دلوك إلى كل حوض
ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا
شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال وإياك والكسل
فإنه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة
ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة
التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ
الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالإقدام ولو على
الضرغام فإن جراءة الجنان تطلق اللسان وتطلق العنان
وبها تدرك الحظوة وتملك الثروة كما أن الخور صنو
الكسل وسبب الفشل ومطاة للعطل ومجنبة للأمل ولهذا
قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب ثم ابرز يا بني في
بكور أبي زاجر وجراءة أبي الحارث وحزامة أبي قترة وختل

أبي جعدة وحرص أبي عقبة ونشاط أبي وثاب ومكر أبي
الحصين وصبر أبي أيوب وتلطف أبي غزوان وتقلب أبي براقش
واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان ورد السوق
قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع
ودمث جنبك قبل المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة
وانعم نظرك في القيافة فإن من صدق توسمه طال تبسمه ومن
أخطأت فراسته أبطأت فريسته وكن يا بني خفيف الكل
قليل الدل واقنع من الوبل بالطل وعظم وقع
الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد
رشح الصلد ولا تيأس من روح الله إنه لا ييأس من روح
الله إلا القوم الكافرون وإذا خيرت بين درة منقودة
ودرة موعودة فمل إلى النقد وفضل اليوم على الغد فإن
للتأخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات

وبينها وبين البحتري عقبات وأي عقبات وعليك بصبر
أولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق
بالخلق السبط وقيد أوابدهم بالربط وشب لبدك بالضبط
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ومتى نابك بلد ونابك فيه كمد فبت منه أملاك
واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة
ولا تكرهن النقلة فإن أعلام شرعتنا وأشياخ عشيرتنا
أجمعوا على أن الحركة بركة والطراوة سفتجة وزروا على
من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي نغلة
من اقتنع بالرذيلة ورضي بالخسف وسوء الجبلة وإذا أزمعت
الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد
من قبل أن تصعد فإن الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق
خذها إليك وصية لم يوصها قبلي أحد

عن حاوية خلاصات المعاني والزبد،

نحلتهما نفحة من محض النصيحة واجتهد،

فاعمل بما مثلته عمل اللبيب أخي الرشد،

حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الأسد،

ثم قال له يا بني قد أوصيت واستقصيت فإن أقبلت فواها لك وإن أعرضت فآها منك والله خليفتي عليك وأرجو ألا يخلف ظني فيك فقال له ابنه يا أبه لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدادا وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا ولئن أمهلت بعدك لا ذقت فقدك فلأذربن بآدابك الصالحة ولأقتفين آثارك الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم قال الحارث بن همام فأخبرت أن

بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى إنهم ليرونها إلى الآن أوجب ما تلقنه الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام همًّا برح بي استعاره ولاح على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لإطفاء ما بي من الجمر إلا قصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام فانطلقت إليه غير وان ولا لاو على شأن فلما وطئت حصاه واستشرفت أقصاه رأيت ذا أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصب

به عصبة لا يحصى عددهم ولا ينادى وليدهم فابتدرت قصده
ونويت ورده ورجوت أن أجد شفاي عنده ولم أزل
أتنقل في المراكز وأغضي للّاكز والواكز إلى أن جلست
تجاهه وبحيث أمنت اشتباهه فإذا هو شيخنا السروجي
لا ريب فيه ولا لبس يخفيه فتسرّى بمرآه همّي وارفضّت كتيبة
غمّي وحين رآني وبصر بمكاني قال يا أهل البصرة رعاكم
الله ووقاكم وقوّى تقاكم فما أضوع ريّاكم وأفضل مزاياكم
بلدكم أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة
وأمرعها نجعة وأقومها قبلة وأوسعها دجلة وأكثرها
نهرًا ونخلة وأحسنها تفصيلًا وجملة دهليز البلد الحرام
وقبالة الباب والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسّس
على التقوى لم تدنّسه بيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان
ولا سُجد على أديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد

المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار
المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك والركاب والحيتان
والضباب والحادي والملّاح والقانص والفلّاح والناشب
والرامح والسارح والسابح وله آية المدّ الفائض والجزر الغائض
وأما أنتم فمن لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا يبدّها ذو شنآن
دهماؤكم أطوع رعية لسلطان وأشكرهم لإحسان وزاهدكم
أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم
علّامة كل زمان والحجّة في كل أوان ومنكم من استنبط
علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه
وما من فخر إلا ولكم فيه اليد الطولى وإن شئتم فأنتم أحق
به وأولى ثم إنكم أهل مصر مؤذّنين وأحسنهم في النسك قوانين
وبكم اقتُدي في التعريف وعُرف التسحير في الشهر الشريف
ولكم إذا قرّت المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ

النائم ويونس القائم وما آنستم تعرجي ولا أبرغ نوره في برد
ولآخر الأول ولقد ذكرتكم بالأسحار كدوي الرشح في البحار
وبهذا علم صدع النقل وأخبر النبي عليه السلام من قبل وبين أن
دويكم بالأسحار كدوي النحل فشرفا لكم ببشارة المصطفى
وواها لمصركم وإن كان قد عفا ولم يبق منه إلا شفا ثم إنه خزن
لسانه وخطم بيانه حتى جدح بالأبصار ووقف بالأفضار
فنفس تنفس من قيد لقود أو ضبثت به براثن أسد ثم قال
أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن له المعرفة
والمعروف وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشر المعارف من
آذاك ومن لم يعرفني فسأصدقه صفتي أنا الذي أنجد وأتهم
وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت
على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت
المعارك وألنت العرائك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس

وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد فسلوا عني المشارق
والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والقبائل
والقنابل واستوضحوني من نقلة الأخبار ورواة الأسمار
وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت
وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت وكم
ألباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وأسد افترست
وكم محلق غادرته لقى وكامن استخرجته بالرقى وجمر
سجرته حتى اتضع واستنبطت زلاله بالخدع ولكن فرط
ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب
قشيب فأما الآن وقد استشن الأديم وتأود القويم واستنار
الليل البهيم فليس إلا الندم إن نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع
وكنت رويت في الآثار المسندة والأخبار المعتمدة أن لكم
من الله تعالى في كل يوم نظرة وأن سلاح الناس كلهم

الحميد وسلاحكم الأدعية فقصد ثم انضى الرواحل واطوى
المراحل حتى قمت هذا المقام فيكم ولا منة لي عليكم
إذ ما سعيت إلا في حاجتي ولا تعبت إلا لراحتي ولست أبغي
أعطيتكم بل استدعي أدعيتكم ولا أسألكم أموالكم بل استنزل
سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والإعداد للمآب
فإنه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفوا عن السيئات ثم أنشد

أستغفر الله من ذنوب … أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلاً … ورحت في الغي واغتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا … واختلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا … إلى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي … إلى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا … نسيا ولم أجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير … من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فأنت أهل … للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو
يقلب وجهه في السماء إلى أن دمعت أجفانه فصاح الله أكبر
بانت أمارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة
فجزيتم يا أهل البصرة جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق في
القوم إلا من سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفوهم
وأقبل يعرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ
البصرة وأعقبته إلى حيث خلا بنا وأمنا المحتسب
علينا فقلت له لقد أغربت في هذه النوبة فما رأيك في
التوبة فقال أقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيئات
إن شأني لعجاب وإن دعاء قومك لمجاب فقلت زدني ايضاحا
زادك الله صلاحا فقال والله لقد قمت فيهم مقام المريب

الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت
قلوبهم اليه وويل لمن يأتوا بذعون عليه ثم ودّعني وانطلق
وأودعني القلق فلم أزل أعاني الفكر وأتشوّق الى
خبرة ما ذكر وكلما استنبأت خبره من الركبان وجوّابة
البلدان كنت كمن حاور عجما او نادى صخرة صمّا الى ان
لقيت بعد تراخي الأمد وترامي الكمد ركبا قافلين من سفر
فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا الخبر الأغرب من
العنقاء والأعجب من نظر الزرقاء فسألتهم ايضاح ما قالوا وان
يكيلوا لي بما اكتالوا فحكوا انهم ألمّوا بسروج بعد ما فارقها
العلوج فرأوا أبا زيدها المعروف قد لبس الصوف وصار
بها الزاهد الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا
انه الآن ذو الكرامات فحفزني اليه النزاع ورأيتها فرصة
لا تضاع فارتحلت رحلة المعد وسرت نحوه سير المجدّ حتى

حللت بمسجده ومراده متعبّده فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه
وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة وهيبة
مهابة من وفد على الاسود وألفيته ممن سيماهم في وجوههم
من أثر السجود ولما فرغ من سبحته حيّاني بمسبحته من غير أن
نغم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على أوراده
وتركني أعجب من اجتهاده وأغبط من يهدي الله من عباده
ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع وإخبات وخضوع
الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم أمس فجذبني انكفائي الى
بيته وأسهمني من قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلّى بمناجاة
مولاه حتى اذا التمع الفجر وحقّ للمتهجد الأجر عقّب تهجده بالتسبيح
ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجّع بصوت فصيح
خلّ ادّكار الأربع ° والمعهد المرتبع ° والظاعن المودّع
وعُدْ عنه ودع

وَاندُبْ زَمَانًا سَلَفَا ۔ سَوَّدْتَ فِيهِ الصُّحُفَا ۔ وَلَمْ تَزَلْ مُعْتَكِفَا
عَلَى القَبِيحِ الشَّنِعِ ۔
كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعْتَهَا ۔ مَآثِمًا أَبْدَعْتَهَا ۔ لِشَهْوَةٍ أَطَعْتَهَا
فِي مَرْقَدٍ وَمَضْجَعِ ۔
وَكَمْ خُطًى حَثَثْتَهَا ۔ فِي خِزْيَةٍ أَحْدَثْتَهَا ۔ وَتَوْبَةٍ نَكَثْتَهَا
لِمَلْعَبٍ وَمَرْتَعِ ۔
وَكَمْ تَجَرَّأْتَ عَلَى ۔ رَبِّ السَّمَوَاتِ العُلَى ۔ وَلَمْ تُرَاقِبْهُ وَلَا
صَدَقْتَ فِيمَا تَدَّعِي ۔
وَكَمْ غَمَطْتَ بِرَّهُ ۔ وَكَمْ أَمِنْتَ مَكْرَهُ ۔ وَكَمْ نَبَذْتَ أَمْرَهُ
نَبْذَ الحِذَا المُرَقَّعِ ۔
وَكَمْ رَكَضْتَ فِي اللَّعِبْ ۔ وَفُهْتَ عَمْدًا بِالكَذِبْ ۔ وَلَمْ تُرَاعِ مَا يَجِبْ
مِنْ عَهْدِهِ المُتَّبَعِ ۔
فَالْبَسْ شِعَارَ النَّدَمِ ۔ وَاسْكُبْ شَآبِيبَ الدَّمِ ۔ قَبْلَ زَوَالِ القَدَمِ
وَقَبْلَ سُوءِ المَصْرَعِ ۔

وَاخْضَعْ خُضُوعَ المُعْتَرِفْ ۔ وَلُذْ مَلَاذَ المُقْتَرِفْ ۔ وَاعْصِ هَوَاكَ وَانْحَرِفْ
عَنْهُ انْحِرَافَ المُقْلِعِ ۔
إِلَامَ تَسْهُو وَتَنِي ۔ وَمُعْظَمُ العُمْرِ فَنِي ۔ فِيمَا يَضُرُّ المُقْتَنِي
وَلَسْتَ بِالمُرْتَدِعِ ۔
أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطْ ۔ وَخَطَّ فِي الرَّأْسِ خِطَطْ ۔ وَمَنْ يَلُحْ وَخْطُ الشَّمَطْ
بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعِي ۔
وَيْحَكِ يَا نَفْسُ احْرِصِي ۔ عَلَى ارْتِيَادِ المَخْلَصِ ۔ وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي
وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي ۔
وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى ۔ مِنَ القُرُونِ وَانْقَضَى ۔ وَاخْشَيْ مُفَاجَاةَ القَضَا
وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي ۔
وَانْتَهِجِي سُبْلَ الهُدَى ۔ وَادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى ۔ وَأَنَّ مَثْوَاكِ غَدَا
فِي قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ ۔
آهًا لَهُ بَيْتِ البِلَى ۔ وَالمَنْزِلِ القَفْرِ الخَلَا ۔ وَمَوْرِدِ السَّفْرِ الأُلَى
وَاللَّاحِقِ المُتَّبِعِ ۔

بيت يُري من أودعه • قد ضمّه واستودعه • بعد الفضاء والسعة

قيد ثلاث أذرع •

لا فرق أن يحلّه • داهية أو أبله • أو معسر أو من له

ملك كملك تبّع •

وبعده العرض الذي • يحوي الحيي والبذي • والمبتدي والمحتذي

ومن رعى ومن رُعي •

فيا مفاز المتقي • وربح عبد قد وُقي • سوء الحساب الموبق

وهول يوم الفزع •

ويا خسار من بغى • ومن تعدّى وطغى • وشبّ نيران الوغى

لمطعم أو مطمع •

يا من عليه المتّكل • قد زاد ما بي من وجل • لما اجترحت من زلل

في عمري المضيّع •

فاغفر لعبد مجترم • وارحم بكاه المنسجم • فأنت أولى من رحم

وخير مدعوّ دُعي •

قال فلم يزل يردّدها بصوت رقيق ويصلها بزفير
وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل أبكي عليه
ثم برز إلى مسجده بوضوء تهجّده فانطلقت ردفه وصلّيت
مع من صلّى خلفه ولما انفضّ من حضر وتفرّقوا شغر بغر
أخذ يهينم بدرسه ويبتلّ يومه في قالب أمسه وفي ضمن
ذلك يرنّ رنان الرقوب ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت
أنه قد لحق بالأفراد وأشرب قلبه هوى الانفراد فأخطرت بقلبي
عزمة الارتحال وتخليته والتخلّي بتلك الحال فكأنّه تفرّس ما
نويت أو كوشف بما أخفيت فزفر زفير الأوّاه ثم قرأ فإذا
عزمت فتوكّل على الله فاستجلت عند ذلك بصدق المحدّثين
وأيقنت أن في الأمّة محدّثين ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح
وقلت أوصني أيها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب
عينك وهذا فراق بيني وبينك فودّعته وعبراتي يتحدّرن

من المآقي وزفراتي يتصعّدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي قال القسم بن علي هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان الاضطرار وقد أُلجئت إلى أن أصدتها للاستعراض وناديت عليها في سوق الأعراض هذا مع معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل اللهو وأسترشده إلى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة

تمت المقامات الخمسون بعون الله الكريم

وفرغ من تعليقها العبد الفقير الراجي رحمة ربه وغفرانه احمد بن محمد بن همشاه
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
في شهر المحرم سنة ثلث وثمانين وستمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي واله

٦٨٢

ملو العرب

نظر في هذا الكتاب اضعف عباد الله واحوجهم الى عفوه ولطفه ... الخراساني في تاريخ خامس ... بلاد ... والحمد لله وصلى على سيدنا محمد النبي واله ... ومحمد ...

... للناس ... قرأه ...

نظر في هذا الكتاب العبد الضعيف اضعف عباد الله تعالى العبد عبد علي ... الرحمن الشهيدي

نظر في هذا الكتاب اضعف عباد الله ... عبد ... بن محمد ... رحمة ... الرحيم ...

تمت ... بالتربية ... الضعيف ...

هو

شدا كنشر الروض حاآنه الصبا على نيم

والليل منسدل النشف

على هجر هو دبناه ولم نرى وجه الكريم ولكناهو سنا

على الوصف

حل خل ادكار الدمع

يا شاطر الحجاج الولي طاله

الحمد لله سبحانه

والعبد ونحمد الله

[illegible]

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No
4787